الکبت

obeikan.com

الكتاب : الكبت
المؤلف : دياب محمد دياب
تصميم الغلاف : اسامة علام
رقم الإيداع : ٢٠٥٣٠ / ٢٠١٦
الترقيم الدولي : ٣-٠٨٠-٧٧٨-٩٧٧-٩٧٨

٢٠ عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧
Noon_publishing@yahoo.com
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikan.com

الكبت

دياب محمد دياب

للنشر والتوزيع

obeikan.com

obeikan.com

إهـــداء

إلى من حلمت بقول أحبك له طوال سنواتي واكتفيت بها بين أضلعي .. أقولها الآن على الملأ .. أحبك يا أبي ..

إلى أحن امرأة في عالمي .. أمي ..

إلى الحاضر والمستقبل .. رحاب خالد ..

إلى كل من ساهم بدفعي إلى الورقة والقلم بفرحة أو بخيبة ..

obeikan.com

مدخل

في البداية أنصحك أيها القارئ بعدم أخذ القصة على محمل التسلية..

فقط عليك الاستمتاع بقراءة قصة ربما حدثت في يوم ما ..

ربما ستحدث في يوم ما ..

في النهاية عليك الحكم بما إن كانت خيالية أم واقعية .. ولكن

قبل أن تحكم تأمل عالمك ..

الهدوء مع الموسيقى الهادئة واستمتع بوقتك الثمين

obeikan.com

المقدمة

دائمًا ما تكون بعد الخيبات لحظات قاسية مدوية ينفصل فيها الجسد عن الروح، نشعر كأن أجسادنا تلوم ساكنيها بعد أن تسرب العذاب إليها من شدته وتحدثها بقسوة وتعنفها وتقول لها كفى ..

كفى لا أستطيع تحمل المزيد من الخيبات !

لا أريد الحب، السعادة، الحياة، لا أريد أى شيء، دعينا نركض في هذا العالم بسلام، دعينا لا نتعمق في تفاصيل كل شيء فهي مرهقة دعينا نسير على هامش الصفحات دون خلل ..

لو أن الأمر بيدي ما تركت العدم من أجل عالم مرهق ملئ بالصراعات والآلام ...!

خلقنا لنحب, نكره، نسعد، نفرح ونندم، ولكن ..

من منا سيخرج منتصرًا ؟

هذا هو السؤال الأصعب!...

obeikan.com

استدرج خطوته الأخيرة نحو الباب ودقات قلبه تتزاحم حتى تكاد أن تكسر له ضلعاً وأكثر، لا يعلم ما الذى أتى به الى هذا المكان، ألم يكفه هول الكلمات؟!

يتملكه خوف ورغبة فى العودة إلى حيث جاء، خوفه جعله يقف مكانه دون حراك، تمنى لو أنه استيقظ من نومه وأن يكون هذا كله ليس أكثر من كابوس، يخشى المجهول ذلك الشىء الذى يخيفنا ويجعلنا نتردد فى التقدم أو حتى فى التراجع، أحيانًا يقع المجهول فى رداء الماضى وهو أشد أنواعه خوفًا وألمًا.

يعلم ما ينتظره وراء هذا الباب، يعلم أنه لا يخفى غير واقع أليم قاسى، لا يخفى غير ماضٍ سيتعقبه حتى النفس الأخير، ولن يترك له أثراً حتى يكون ملازماً لَه.

يعلم أنه سيترك كل شىء فى الخارج ويدخل وحيداً، سيترك سبعة عشر عاماً من ذكريات واهتمام وأصدقاء ليدخل إلى عالم آخر غير هذا العالم المألوف، إلى عالم سينذع منه العاطفة بكل ما تحمله من معانٍ ولن تبقى له غير الشعور بالنقص.

صرخات تزلزل سكون الليل تحملها أدخنة النيران الهاربة من بين شقوق الباب القديم الهش، كأنها تحذره من الدخول أو توقظه من ذلك الكابوس المميت، وما إن توالت الصرخات حتى رجع بضع خطوات إلى الوراء وكاد قلبه يتوقف بعد أن فقد القدرة على النبض من شدة الخوف.

أدخنة مكبوتة منذ سنوات تحمل معها الكثير من الآلام والأوجاع

التى ستغزوه بلا رحمة ولن تبقى منه سوى آثار رمادها، وأصوات حبست لسنوات لتخرج فى تلك الليلة صرخات تزلزل ضلوعه ضلعاً تلو الآخر حتى سكبت فى قلبه الرعب.

استجمع جزء من قوته وأخذ نفساً عميقًا لعله يزيح بعضاً من حالة الخوف المسيطرة عليه، وبدون وعى أدار المفتاح بيده فما زالت بيده بقايا حياة

دفع الباب رويداً... رويدًا... مترقباً ما ينتظره بالداخل ثم أغمض عينيه ولم يفتحهما إلا وهو داخل البيت، وبدون أن يعلم السبب وبرغم الخوف الذى تملكه فى تلك اللحظات أغلق الباب خلفه!

المكان مظلم ولكن يغزوه ضوء خافت يتسرب من بين شقوق الباب ورائحة سنوات عتيقة امتزجت بأنفاسه لتجعله يستنشق بقايا أدخنة النيران التى سكنت المكان منذ سنوات، أشعل عود ثقاب وهو يزداد ترقباً وقلقاً، لا يعلم لما وكيف جاء إلى هنا؟!!!

أشعل عود الثقاب ليجد نفسه فى وسط نيران، بل فى وسط بركان والنيران أسفله تتنافس على الصعود أولاً، لم يخش شدتها فهو لم يذق لهيبها ولكن احمرارها وانتشارها جعلته يشعر بأنها تملكت جسده.

النيران فى كل مكان، كأن ذرات الهواء اكتسبت القدرة على الاشتعال منذ ذلك الحادث، هول المنظر أجبره على الرجوع قليلاً حتى أوقفته تلك الصرخة مجدداً، صرخة عصفت قلبه عصفاً، لا يعلم

مصدرها ولكنها ردته إلى وسط النيران أكثر وكأن القدر يرفض خروجه قبل أن يحمل على ظهره تلك الحقيقة الؤلمة.

لا يرى... لا يعلم... لا يشعر...

يتمنى الموت، تمناه حلماً، كم تمنى لو أنه لم يكن له وجود مجرد وهم أو خيال، هو الآن يعيش حالة من التجمد العقلى حتى إنه فقد القدرة على التألم.

وبعد ان استسلم لهذه الحالة ولهذا الواقع العصيب الذى يعيشه الآن تأمل فى هذا البيت، رأى نفسه فى كل ركن من أركانه وهو طفل يلعب، ذكريات تراكمت بعد أن حرم منها كل هذه السنوات يرها الآن ذكرى تلو ذكرى، شعر بأن تلك النيران سلبت منه ذكريات كان سيعايشها مع والديه ولولا ذلك الحادث لما عاش تلك اللحظات الآن.

يا الله !

ألا يكفيه العيش بدون والديه طوال تلك السنوات، ألا يكفيه العيش تحت سقف بيت لغرباء، ألا يكفيه شعوره بكل لحظة اهتمام منهم بأنها ليست أكثر من إشفاق عليه، ألا يكفيه الشعور بالنقص والغربة؟!

فالوطن الحقيقى هو ذلك الحضن الدافئ الذى يشبع الطفل حنان مدى الحياه من جانب الأم، وتلك النظرة التى تمنحه الأمن ليقبل على الحياة بظهر صلب من جانب الأب..!

شده تمثال على بعد خطوات منه، تمثال قديم لرجل، وأول ما دار فى خاطره أنه ربما يكون لوالده، فقد علم أنه كان يتمتع بتلك الموهبة،

وما أن وقف أمامه حتى أخذ يتأمل فى تفاصيله تفصيلة تلو الأخرى، يشبهه كثيراً ذلك التمثال، ملامحهما لا تختلف كثيراً، شعر بروحه تجول فى خبايا ذلك التمثال وبأنه جزء منه.

كأن كل شئ حوله اختفى إلا ذلك التمثال وحتى النيران لم يشعر

بها حينها، يكفيه ذلك الشعور المميت، وبينما هو هائم فى تفاصيله حتى تساوت ركبتيه مع قدميه ودخل فى نوبة من البكاء بعد أن انهار كلياً!

سقط على ركبتيه وظل يسأل بصوت عال :

لماذا؟ لماذا يا أبى؟!

لم يشعر حينها إلا بالغضب، غضب من والده، كيف فعل تلك الفعلة البشعة فى والدته؟!

وكيف تركه كل هذه السنوات تحت سقف بيت لرجل آخر؟!

حزن على والدته كثيراً حتى تمزق قلبه، كيف عاشت كل هذه السنوات مع رجل لا يعرف غير القسوة، بل لا يعرف غير البشاعة؟!

كيف تركت أهلها وخانتهم وهربت معه إلى هذا المكان بداعى الحب، أى حب!

لماذا لم تستسلم إلى تلك العادات البغيضة عوضاً عن البحث عن بيئة تقدس المشاعر الإنسانية وترفض التعصب والعنصرية الطبقية،

عن بيئة ترفض تقييد التعاملات والحريات، عن بيئة خالية من العادات.!

لا يعلم إن كانت قد فعلت الصواب أم لا، ولكن كل ما علمه أنها ضحت بكل شيء من أجله حتى إنها أعطت روحها له وفى سبيل تلك التضحية سطر السطور الأخيرة فى حياتها ورحل!

أيعرف ذلك الرجل معنىً للحب؟

أى حب هذا الذى يجعله يقتل حبيبته بأبشع الطرق ثم يهرب لمجرد أن (شك الخيانة) تملك عقله، أيعقل أن تخونه بعد كل ما فعلته لأجله؟!

الشك هو الشعور الذى يكبت مشاعر الحب وينفيها إلى جزيرة بعيدة ليجعل من صاحبه وحشًا كاسرًا بعد أن كان رجلاً محبًا.

ربما خانت أهلها، خانت كل لحظة أمل انتظرتها والدتها لترى ابنتها بالأبيض، خانت حتى كبرياء والدها وشرفه الذى ارتبط بها منذ ولادتها، ربما خانت حتى طفولتها وذكرياتها، ولكنها أبداً لم تخنه هو.!

قسوة والده بأمه وعدم بحثه عنه جعلوه يشعر باليتم، نعم هو يتيم الآن وإن كان والده لا يزال على قيد الحياة إلى تلك اللحظة، دخل ضمن شريحة الأيتام بعد أن قضى من عمره سبعة عشر عاماً معتقداً أنه لا ينتمى إليها، فقد زين له القدر بأنه رزق بأقل حقوق الطفل فى العيش تحت رعاية والديه واهتمامهم يغمره حتى الشبع.

كيف ترك ابنه فى بيت رجل آخر، بل ويعقب اسم هذا الرجل اسم ابنه؟

ولكن كيف يولد هذا الحنان وهو مقتنع اقتناع تام بأنه ليس ولده، بل هو لم يعلم أنه إن كان قد نجى من بطن أمه أثناء ذلك الحادث أم لا، فعل فعلته وهرب كالفئران.

الشعور بالغضب سيطر عليه وهو راكع أمام التمثال وغارق فى دموعه، وقلبه تجمد من هول الموقف حتى عادت تلك الصرخات مجدداً لتوقظه من هذه الحالة ليقف مجدداً وتتزاحم النيران حوله من كل مكان ولكن هذه المرة أقوى.

شعر بأن تلك النيران سلبت منه هويته وطفولته، سلبت منه حقه مشروع، سلبت منه كل شئ.

شعر بأن القدر أمسك بيده وأخرجه من الجنة إلى الجحيم دون أن يحزم أمتعته بأقل ما يملك من ذكريات حتى ولو كانت مصطنعة، نعم أخرجه من الجنة!

إحساس اليتم يقتل، جعله يشعر بأنه داخل عالم آخر، عالم لا يوجد به سوى بشر يبحثون فى جبل من القش عن شىء لا يشعر به إلا من فقده، يبحثون عن الاهتمام، منهم من وجده فى أشخاص حولهم وإن لم يعوض هذا النقص الكامل فقد عوض جزء منه، ومنهم من غطى الأبيض رأسهم وانحنى ظهورهم وضعفت قوتهم ولم يجدوه.

شعر بأنه كان جزء من هذا العالم منذ ولادته دون أن يدرى، وبأن تلك السنوات لم تكن إلا لحظات معدودة لتزيد عليه ألمه وصدمته، ليته علم منذ البداية...

مشهد النيران ــ وهى ملتفة حوله ــ مخيف، كانت هناك آثار حفر فى الأرض، حفر فى كل مكان بعضها ردمت وبعضها لم تردم بعد، تنبعث منها النيران كالبركان.

وفى وسط تلك النيران كان ذلك التمثال يجذبه فاينظر إليه نظرة

لا تحتوى غير الغضب والندم والحسرة، حفرت تفاصيل ذلك التمثال فى ذاكرته، كأن أحداً ما يمسك بألة حادة وينقش تفاصيله فى ذاكرته بعد أن مسح ذكرياته ذكرى تلو الأخرى.

تلك الصرخات عادت مرة أخرى تأتى من غرفة فى آخر البيت كلما اقترب منها تزداد وبصوت أقوى، وعندما اقترب من باب الغرفة وبقلب تاهت نبضاته من هول الموقف، فتح الباب ببطء وهو يترقب متردداً ما مصدر ذلك الصوت.

وبعد أن دخل الغرفة وجد امرأة تلدغها النيران لدغاً كأن النيران أفعى تلتف ببطء حول فريستها لتزيده رعباً وتضعف قوته وتجبره على الاستسلام للموت.

امرأة فى الثلاثينات والنيران حولها من كل مكان ولا تملك سوى وسادة صغيرة تضعها على بطنها للحظات وللحظات أخرى تبعد بها النيران بحركات عشوائية ولكنها لا تزيدها إلا غضباً فيزداد لهيبها أكثر.

منظر يشيب له رأس الوليد، صرخاتها كانت تعصف بسكون الليل، صرخاتها كانت تنزل الأرواح من السماء إلى الأرض فى سبيل إنقاذ تلك المرأة.

وقف أمامها وهو متجمد القلب بعد أن هربت منه كل المشاعر الإنسانية رافضة معايشة تلك اللحظات، تلك المرأة كانت فى الأشهر الأخيرة من الحمل، كانت بوسادتها تلك تعارك النيران حتى تبعدها عن جنينها إلى أن يأتى الإنقاذ، إلى أن تأتى صرخاتها بثمارها..!

اقترب منها وأخذ يتأملها وقلبه ذائب فى شراييه من شدة الحسرة والألم، وعينيه تنزف دماً بعد أن رأى تلك المرأة تحاول إنقاذ جنينها بكل ما تملك من قوى.

يا الله!

هو الآن واقف أمامها، وعيناه فى عينيها، يريد أن يأخذها بين أضلاعه ويقول لها : كفى ما تفعلينه لا يفيد، ستمضغك النيران بين فكيها مضغاً ولن تتركك إلا رماداً.

هذه المرأة هى والدته!

والدته التى ضحت بأهلها من أجل رجل تسرب الشك لعقله فقتلها بأبشع الطرق وبدون ذرة رحمة ثم هرب...

ظل واقفاً أمامها حتى شعر بيد على كتفه إنه (عم حسن)، دخل إليه بعد أن طال غيابه بالداخل.

قال له :

هيا بنا يا (آدم) فقد تأخر الوقت.

وبدون أن ينطق (آدم) بكلمة واحدة مشى و الظلام عاد ليغلق عليه الطريق إلى باب البيت فأخذ يتخبط كالأطفال حتى خرج من البيت حاملاً معه حادثًا منذ سنوات ولكن هذا الشاب المسكين سيحمل أثره مدى الحياة.

وبعد أن عاد إلى البيت دخل غرفته وأغلق على نفسه وتركه

(عم حسن) حتى يهدأ قليلاً وهو يعلم أن هذا الواقع المرير لا يمكن الهروب منه ولو للحظات.

ثم دخل هو غرفته لتتبعه (أمينة) متسائلة عما حدث؟

فأخبرها أنه أخبر (آدم) بحقيقة والديه و الحادث الذى قضى على والدته.

تعجبت أمينة منه ودار بينهم حديث طويل.....

سألته :

ماذا حدث يا حسن؟!

كيف أخبرته بعد كل هذه السنوات؟

لم يرد عليها، وبدا عليه الأرق والتعب والتوتر فأعادت سؤالها عليه مرة أخرى ليصيح فى وجهها غاضباً :

أنا لا أفهم شيئاً!

obeikan.com

لا أفهم شيئاً، منذ ثلاثة أيام وصلنى ظرف به ورقة مكتوب بها :

(مازلت على قيد الحياة يا حسن، مازلت أتنفس رائحتك، عود الثقاب مازال مشتعلاً)

فسألته أمينة :

* من الذى أرسل هذا الظرف؟

فأجابها :

" لم يُكتب عليه اسم ولا عنوان، ولكن من غيره إنه (نجيب) والد آدم.

تعجبت أمينة من كلامه لتسأله :

* لماذا يعود بعد كل هذه السنوات؟ ولماذا يهددك أنت؟

لا أعلم ربما علم بإنقاذ آدم وغضب مما فعلناه، ولكن أين كان كل هذه السنوات.

* بماذا أخبرت آدم؟

" أخبرته بكل شىء، ولكن لم أخبره عن تلك الورقة.

* لماذا أخبرته؟ ماذنبه أن يعلم تلك الحقيقة المؤلمة؟

لا يزال صغيراً على تحمل تلك الصدمة.

obeikan.com

" لابد أن يعلم، يجب أن يعلم حقيقة والده، يجب أن يعلم بأننا لسنا والديه وبأن والده قتل والدته بأبشع الطرق، ليس من الصعب على نجيب أن يتسلل الى آدم دون أن نعلم ويؤذيه، يجب أن يعلم أن والده قاتل، كان يجب أن أتخذ هذه الخطوه قبله.

* ربما كان عند ابن عمه طوال هذه السنوات.

" لا أعتقد ذلك ، فقد بحث عنه أكثر من مرة قبل ذلك الحادث بفترة ولكنه لم يجده، كما أنه رفض مقابلة نجيب من البداية فكيف

يساعده بعد فعلته تلك؟!

* ولكن ماذا يقصد بـ (مازلت أتنفس رائحتك)؟!

" لا أعلم، ولكنه مريض، من يفعل تلك الفعلة بزوجته لابد أن يكون مريض لذلك أنا أتوقع منه كل شيء، ربما غضب من حمايتنا لـ آدم ورعايتنا له، ربما غضب من شراء البيت الذى كان يسكن به، مع أنى فعلت ذلك من أجل آدم، كنت أريد أن أحتفظ به له.

* لا أعتقد بأن هذا سبب مقنع يا حسن!

سألتك أكثر من مرة وإجابتك لم تختلف فى كل مرة، لا أرى سبب مقنع يدفعك لشراء ذلك البيت.

هل تخفى عنى شيئاً يا حسن؟

" أخفى ماذا!

ما الذى يدفعنى لشراء بيت قديم وقع به حادثة قتل برأيك غير هذا السبب.

* لا أعلم، أنا أسألك.

" قلت لك السبب، وسأكتبه باسمه فى الوقت المناسب، ولكن دعينا نرى ما سيفعله نجيب أولاً.

* أعتقد بأنك تبالغ فقد مر على هذا الحادث سبعة عشر عاماً وإذا أراد أن يفعل شيئاً كان قد فعله منذ سنوات، و لا تنسى أن عمره الآن يقارب الخمسين فهو أكبر منك بثلاثة سنوات تقريباً، ماذا سيفعل بذلك العمر؟!

هذا إذا كان على قيد الحياة حتى الآن، فهذا الحادث كفيل لطرح فكرة الانتحار على عقله أو ربما الاكتئاب والندم والحسرة أكلوا كل خلية فى جسده حتى الموت.

ربما هذه الورقة من شخص آخر يا حسن.

" ليس لي أعداء كما تعلمين، غير أن محتوى تلك الورقة يدل على أنه هو من كتبها، عود الثقاب وما زال على قيد الحياة!

بالتأكيد هو من كتب تلك الورقة نجيب لا يزال على قيد الحياة يا أمينة!

هذه غلطتي، كان لابد أن أبلغ الشرطة حينها إنه لم يكن مجرد حادث، بل كانت جريمة قتل وبأنه هو القاتل، ولكن حتى إن فعلت

ذلك حينها لما وجدته الشرطة أنسيتى ما اخبرتك به بعد الحادث، هذه لم تكن جريمته الأولى يا أمينة...

* لا لم أنس ولكن أنا أخشي من أن يؤذي آدم.

صاح حسن غاضباً بعد جملتها الأخيرة قائلاً :

" آدم "!

يجب أن تخشي على نفسك أنتِ، على ابنكِ (أحمد)، ولكن آدم ليس من عائلتنا وهذا كله بسببك أنتِ، أنتِ من طلبتِ مني أن أكتبه باسمي وألحيتى كثيراً لأفعل ذلك مع أنه ليس ابنى ولو أننا لم نفعل ذلك لما ظهر نجيب فى حياتنا مرة أخرى ليحولها الى جحيم.

صُدمت أمينة بكلماته فقد كانت تظن أنه يحب آدم مثل أحمد وبأنه لن يندم على فعل ذلك، ولكنها سرعان ما تقبلت كلامه!

وبعد أن ساد الصمت بينهم للحظات قالت :

اهدأ يا حسن، لا تتعب عقلك وسنرى ما سيحدث، سأتابع آدم من اليوم أكثر وانتبه أنت على نفسك.

أمينة امرأة عاقلة جدًّا وصبورة، ينطبق عليها قول (ربما الضلع أقوى من الجسد برمته)!

مثقفة إلى أبعد الحدود تقرأ فى كل شيء، فى التاريخ والأدب ولكن يجذبها أكثر علم النفس والاجتماع أيضاً.

كانت صديقة (مها) والدة آدم بعد أن أصبحوا جيران، كانت بالنسبة لـ مها صديقة وأخت وأم أيضاً بعد أن تركت أهلها هاربة مع نجيب، وبحكم صداقتهم القوية ارتبطت العائلتان فتعرف حسن على نجيب وأصبحوا اصدقاء ايضاً مع الوقت.

أما حسن فيملك مصنعاً صغيراً لصناعة الملابس، لديه من المال ما يكفى لعيش حياة كريمة هو وعائلته، يعلم جيداً كيف يتعامل مع البشر بمختلف العقلية والديانة والجنس.

موهوب فى الخروج من الأزمات والمشاكل الصعبة وبمعدل أسرع من الإنسان الطبيعى، الحياة بالنسبة له كتاب مفتوح يقلب صفحاته

كيفما شاء، شغوف بالقراءة أيضاً ويقرأ فى مجالات مختلفة.

لم يفرق فى معاملته بين آدم وأحمد فقد ربى آدم مثل ابنه، كان يشعر منذ أن كان آدم طفلاً بأن شيئاً ما يجذبه نحوه ولكنه لا يدرى ما هو، ربما حقيقة والديه المؤلمة جعلته يحن عليه أكثر...

أحمد شاب عمره الآن واحد وعشرون عاماً حيث يكبر آدم بأربع سنوات، يدرس فى كلية الحقوق وقد ورث عن والديه شغفهما بالقراءة ولكنه كان يميل إلى الأدب، هوايته المفضلة هى الكتابة، بارع فى انتقاء الألفاظ وترتيبها فى جملة واحدة بحيث تفسر فى صفحات.

وفى منتصف الليل وقف أحمد أمام غرفة آدم وحاول أن يفتح الباب ولكنه مغلق ولا يرد عليه ليقول أحمد له :

أعلم ما تشعر به الآن، ولكن أنت لا تزال أخي يا آدم ...

آدم فى عالم آخر لا يشعر بأحد ولا يسمع كلمات أحمد، كل ما يدور فى خاطره تلك الحقيقة المؤلمة الذى قيده بها القدر ليصبح سجيناً للآلام والأوجاع حتى أنفاسه الأخيرة، لا يعرف بماذا يشعر الآن، فراغ بداخله كالفضاء يغزوه من حين لآخر نيزك مشتعل يحرق قلبه حرقاً.

سمعت أمينة كلمات أحمد فطرقت الباب حتى فتح لها آدم، جلست بجانبه ثم قالت :

اسمع يا آدم

إنها الحقيقة يا بنى ولكن هذا الماضى ليس ملكك أنت بل مرتبط بوالديك وقد دفن منذ وقت طويل.....

قطع آدم كلامها قائلاً :

احكى لي عن والدي.

صمتت أمينة للحظات مترددة فى إخباره، ثم استسلمت له وبدأت تحكي له :

أعلم أن هناك الكثير من الأسئلة التى تدور فى خاطرك الآن ومع أنها لا تفيد الآن إلا أنه من حقك أن تعلم أجوبتها.

obeikan.com

رغم الصداقة التى جمعتنا معاً لسنوات إلا أن والديك كانا متحفظين إلى درجة كبيرة ولم نعلم عنهم الكثير، ولكن سأخبرك بكل ما أعلم الآن :

فى قرية صغيرة من قرى الصعيد عاش والديك بها.

تملك القرية عائلتان كانوا من أقوى وأقدم العائلات هناك لذلك نشأت بينهم صراعات طويلة على نيل لقب الأقوى وقد شاء القدر بأن يصبح كل من والديك فى عائلة من العائلتين وبأن يرتبط قلب كل منهما بقلب الأخر.

وُلد الحب معهما وكبر معهما مع الوقت منذ أن كانوا صغاراً إلى أن اشتدت قوتهما، والدك كان يعمل فى المناطق السياحية بالقرى المجاورة واكتسب عدة لغات ومن بينهم اللغة الفرعونية القديمة نظراً لعشقه لسحرهم وحضارتهم العريقة ومن تلك الحضارة اكتسب موهبة النحت وبرع بها بقوة واحترافية كبيرة.

بدأ الرجال يتوافدون الى بيت والد مها (والدتك)

راغبين فى الانتساب إلى إحدى أكبر العائلتين هناك لذلك قرر نجيب بأن يتخذ هذه الخطوة ولكن عائلته رفضت بسبب الصراعات التى تجمعهم معاً فى دائرة الأعداء والكره فذهب بمفرده إليهم ورفضه والدها مثلما توقع تماماً.

حاول معهم أكثر من مرة وبسبب تلك المحاولات وإصراره على عدم الانصياع لأوامر عائلته طردوه من البيت وأصبح منبوذاً منهم

ومرفوضاً كزوج من عائلة مها، فى ذلك الوقت تعارك والدك مع صديق له حتى قتله ولا تسألني عن السبب ؛ لأني لا أعلم حقاً.

ومن هنا بدأت فكرة الهروب تراودهم إلا أن استسلمت مها لتلك الفكرة وهربوا معاً إلى القاهرة، وعندما وصلوا ذهبوا لى ابن عم نجيب طلباً لمساعدته، كان يدرس فى جامعة القاهرة ويقيم فى حى قريب من الجامعة ولكنه رفض مساعدتهم وتهرب منهم.

أخذ القدر يتخبط بهم حتى وصلوا الى البيت الذى رأيته اليوم وبدأوا حياتهم الجديدة معاً كما أرادوا، عمل نجيب فى ورشة نجارة إلى أن جمع مبلغ من المال لا بأس به ففتح مكاناً صغيراً واستثمر موهبته فى مجال النحت وجنى من ورائها أموالاً لا بأس بها نظراً لقلة هذا العمل فى ذلك الوقت.

تعرفت أنا على مها وبدأت تجمعنا الصداقة مع مرور الوقت وبسبب تلك الصداقة القوية أصبح حسن ونجيب أصدقاء أيضاً.

كانت الأمور تسير معهم بشكل جيد ولكن مع الوقت شعروا بأن هناك شيئاً ما ينقصهم وبالتأكيد بُعد الأهل عنهم كان له سبب قوي فى ذلك.

الشعور بمتعة الحياة التى اصطنعوها بدأ يقل مع الوقت وبدأ الملل يتسلل الى باب شقتهم ليفتح عليهم أبواب الندم والألم، ليس لأنهم هجروا أهلهم واختاروا العيش بحرية وسلام ولكن ماذا لو لم يعارض أهلهم على الزواج؟!

حُرموا من فرحتهم بفرحة أهلهم وحُرمت من رؤية دموع والدتها وهى تُزينها ومن قلب والدها المفطور وهى تُغادر بيته ويخفي ذلك بكبرياء وحنان الأبوه.

الفرحة لم تكتمل، إحساس السعادة غريب لا تشعر به إلا عندما تراه فى عيون من حولك، ومع زيادة ضغوط الحياة بدأت المشاكل التقليدية بينهم ولكنها كانت بسيطة لا تستدعى القلق ولكنها بدأت تشعر بأن حب نجيب لها يقل واهتمامه بها يكاد يتلاشى.

لا تعلم أن الزواج مختلف فى كل شىء وأينما وجدت هذه الكلمة إلا ويتبعها المسؤلية، من يعلمها تلك الأمور غير والدتها...!

بعد ثلاث سنوات من الزواج لم يرزقوا بأطفال ولكنهم صبروا أنفسهم بأن الله سيرزقهم قريباً، رزقهم بطفل كفيل بإعادة الأمل فى حياتهم من جديد وإيجاد سبب وهدف آخر للعيش.

كان الأثر الأكبر على نجيب فقد شعر بأن تأخر الإنجاب بسببه هو وبأن العيب منه، كان يخشى من ردة فعل مها وبأنها كيف ستتقبل هذه الحياة؟!

لا أهل ولا أطفال فقط هو وهى وبدأ خوفه يزداد أكثر حتى أنه ذهب الى أكثر من شيخ من المعروفين بالبركة (الدجالين)، ولكن دون جدوى فلم تكن فكرة الطبيب سائدة فى ذلك الوقت خصوصاً أنهم أتوا من قرية كانت فكرة الطبيب عندهم تكاد تكون منعدمة.

ومع مرور الوقت أكثر ازداد خوف نجيب وفقد الأمل وشعر بخيبة كبيرة وبإحساس العجز الكامل ومنذ ذلك الوقت بدأت الهلاوس

تصاحبه وغيرت طباعه ومعاملته مع مها، راقب تصرفاتها وشعر أنها تتغير معه وبدأ إحساس الشك المريض يدخل عقله و الهلاوس تتزاحم أمام عينيه.

لاحظ تأخرها فى العمل وكثرة ترددها على بيتي، هى دائماً ما كانت تفعل ذلك ولكن نظرته وطريقة تفكيره للأمور تغيرت كلياً، كان تعلقها بـ أحمد ابني يقتله، لاحظت هى ذلك وتغير معاملته معها وإصراره على تركها للعمل.

كنت أشعر وكأنه بدأ ينتظر خيانة مها له بعقل مريض، وبعد ستة سنوات من الزواج حملت مها!

أخبرته وأنتظرت منه فرحة ترجع لهم الأمل من جديد، ولكنها لم تجد منه سوى ابتسامة بسيطة مصطنعة وعينيه ينغمر منها كلمات لم تفهم معناها فى لحظتها.

صمتت بعد أن ترجمت عينيه وشاهدت فيهما نظرات عتاب

(عتاب الخيانة)، وبعد أن ساد الصمت بينهما لدقائق بدأت الدموع تسيل من عينيها وهو لا ينطق بكلمة واحدة ويعاتب بأبشع طرق العتاب، عتاب العين يقتل...!

وبدون أن ينطق بكلمة واحدة رحل، رحل بعد أن قتلها بنظراته ولا تعلم إلى أين رحل ومتى سيعود؟

ولكن لم يشغل تفكيرها تلك الأسئلة قط فالمرأة تعطي الثقة والحب والاهتمام مرة واحدة فقط ولا وجود لما يسمى بالفرصة الثانية عندها فى مثل تلك المواقف يا بني.

أخبرتنى بما دار بينهما فى ذلك اليوم وهى فى حالة انهيار تام وغارقة فى دموعها بعد أن فقدت أهلها والآن تفقد حبيبها.

طال غياب نجيب إلى أن وصلت مها إلى الشهر الأخير من حملها، رفضت أى مساعدات مادية خلال تلك الأشهر منا وعملت بيدها لتجنى المال الذى يكفيها إلى أن جاء اليوم الذى توفت فيه.

فى منتصف الليل من ذلك اليوم

سمعت صراخ والدتك فأسرعت فى إنقاذها بمساعدة بعض الجيران الذين استيقظوا على صراخها أيضاً وكان حسن فى عمله فى ذلك اليوم فقد كان يقضى يومين فى العمل ويعود إلى البيت مثلهم، ولكن النيران قد تمكنت منها بشكل خطير وفى المستشفى نجح الأطباء فى إنقاذ حياة الطفل وهو أنت يا آدم ولكن والدتك توفت بعد ولادتك بساعة واحدة إثر جراحها.

لم نعثر على والدك ولا على عقد الزواج لوالديك ربما أصبح رماداً بعد الحادث، كما أننا لم نعثر على أهل والديك فكتبك حسن باسمه بعد أن وكل محام حينها ليقوم بذلك الأمر لننقذك من حياة مُرة كنت ستعيشها وبدافع الإنسانية والحب والصداقة التى ربطت عائلتي بوالديك.

لم تخبرني والدتك من الذى فعل بها تلك الفعلة البشعة ولكن من غيره بالتأكيد نجيب، أخبرتني بأن أعتني بك وأبعدك عن أيدي نجيب وقد فعلت.

اشترى حسن بيت والدك المأجور من مالكه وباع بيتنا وانتقلنا إلى هذا المكان لنبعدك عن هذا الحادث قدر المستطاع مع علمي بأن هذا اليوم سوف يأتي وكنت أنتظره كل يوم وها هو أتي...

اسمعني جيداً يا آدم

لا تقحم نفسك فى عالم غير عالمك، عالمك هنا فى هذا البيت، لديك والدان وأخ وأصدقاء وحياة بأكملها، لا تترك كل هذا وتقحم نفسك فى رماد ذلك الحادث.

صمت آدم وبدأت يده ترتعش حتى شعرت أمينة به فدمعت عيناها وضمته إلى صدرها حتى انهار آدم فى البكاء وبعد أن ارتفعت صرخات تلك الدموع التى انتزعت قلبها من الجزور قالت له بصوت خافت مكسور : آدم

نحن لا نستطيع أن ننسى فهذه طبيعة البشر، ولكن يجب أن نغمض أعيننا قليلاً لكى نستطيع أن نعيش الحياة، فلا شىء يرسخ الأشياء فى ذاكرتنا إلا عندما نرغب فى النسيان.

رغبتك فى النسيان ستقتل فيك الأمل ولذة الحياة ولن تبقى منك غير تلك الذكريات، ستخلق بداخلك مجازر فى سبيل إقناع نفسك بتسرب تلك الآلام من ذاكرتك ولكنك سترسخها أكثر كالقواعد الأسمنتية فى باطن الأرض.

لا ذنب لك فى واقع ضرير وماضٍ قاسٍ لا تحمله على ظهرك ولا تنظر خلفك لديك الحاضر والمستقبل اصنع منهما ماضٍ أفضل لك، حياتك هنا منذ ولادتك وستبقى هنا بين جدران هذا البيت، غير أنك لم تعاشر والديك ولا هذا الحادث فلماذا تقحمه فى عالمك بعد أن عوضك الله عنهم بامرأة تحبك كأنك قطعة منها، أنت ابني يا آدم ومن حقى عليك أن أظل أسمعها منك بعد كل هذه السنوات.

قالت تلك الكلمات ورحلت وهى تعلم مدى الألم والحسرة التى تسكن قلب آدم الآن.

مسكين يا آدم، لقد شاء القدر أن يقتل فيه متعة الحياة فى بداية حياته، ولكن أمينة لم تتركه وظلت وراءه بكلماتها الهادئة التى تمتزج بالقلب وتداوى جروحه مهما كثرت.

بدأ آدم معايشة عالمه الجديد، فالقدر قد يغير عالمك بالكامل بكلمة واحدة، بدأ إحساسه يتجمد تدريجياً حتى بدأ معايشة ذلك الشعور الذى يقتل فينا كل شئ، بدأ يشعر بـ اللاشىء ...

اللاشىء هو شعور مثل الندم والحزن والفرحة والأمل والحسرة، ولكنه فى أدنى القائمة..!

فقد شعوره اتجاة أحد بالحب أو بالكره فقد حتى حياته رغم وجود عم حسن وأمينة وأحمد بجانبه ولكنه لم يستطع الخروج من تلك الصدمة، شعر بأنه غريب عنهم لا ينتمى إليهم ولا إلى هذا البيت، بل ولا ينتمى إلى هذا العالم.

انعزل عمن حوله وكانت معاملته معهم لم تكن أكثر من ردود مختصرة جداً على أسئلتهم حتى غرق فى دوامة العزلة الأبدية واتخذ منها منهجاً، ظن أن تلك الحواجز التى بناها بينه وبين البشر ستحميه من غرائزهم الوحشية كقطرات المياه فى منتصف البحر.

جهل أصدقائه هذه الحقيقة، حقيقة والديه، وبطباعه تلك الغير مألوفة لديهم اجتنبوه واتهموه باللامبالاه والأكتئاب وغيرها من الكلمات والأوصاف التى تعبر عن حالته تلك.

لا يشعر بالراحة إلا بمفرده، لا يحب الزحام ولا حتى لمة الأصدقاء على المقاهى، لا يحب حتى الهاتف، سور بناه بينه وبين البشر أعلاه ممنوع الاقتراب وأغلق الباب خلفه...!

***

(و بعد أربع سنوات)

آدم الآن فى السنة الثالثة من كلية الطب قسم الأمراض النفسية والعصبية، جذبه ذلك القسم كثيراً بعد أن قرأ الكثير من الكتب فى علم النفس والاجتماع أيضاً، وربما شيئاً ما بداخله يريد أن يجد لوالده العذر!

آدم كما هو رغم مضى أربع سنوات على علمه حقيقة والديه وذلك الحادث البشع الذى سطر مشهد النهاية لوالدته، لايزال سجين لذلك العالم الباهت الذى لا حياة فيه.

هو الآن فى غرفته كعادته فى عالم غير العالم حتى دخل أحمد وجلس بجواره وقال له :

ماذا تفعل؟

لا شيء كما ترى.

حسنًا إلى متى ستظل هكذا يا اخي؟

أخي!

قالها وكأنه متعجب من الكلمة غير مبال له...قالها وهو يقلب فى صفحات كتاب من كتبه فأخذ أحمد الكتاب من يده وأكمل :

هذا الأمر لم يغير شيئاً ولن يغير شيئاً يا آدم أنت لا تزال هنا فى هذا البيت، لاتزال أخي.

إلى متى ستظل على هذه الحالة؟!

إلى متى ستظل منعزلاً عن البشر؟!

أين نحن فى حياتك؟ وأين أصدقاؤك؟

صمت آدم ولم يرد عليه، دمعت عيناه ونظر الى الأرض، ثم قال :

وأين والدي؟!

وأين أنا؟!

يمكن أن أسألك ألف سؤال ولن تجد لهم أجوبة يا أحمد!

ولكني سأسألك سؤالاً واحداً فقط ولكن فكر جيداً فى الإجابة :

هل تظن بأنك أفضل مني حالاً؟

أنت أو أى شخص فى هذا العالم..

لم يأخذ أحمد وقت فى التفكير وأجابه بسرعة :

نعم، بالتأكيد هناك مئات بل ملايين البشر أفضل منك ومني حالاً، فهمت قصدك أنت لا تقصد الجانب المادى مطلقاً ولكن من ناحية راحة البال وغيرها نعم هناك الكثير...

قاطعه آدم قائلاً :

أنت مخطئ يا أحمد

نحن نخدع أنفسنا تحت مسميات وشعارات عديدة، نحن فى امتحان صعب وهذا العالم بالأراضى السبع والسماوات السبع و النجوم و الكون بأكمله هو موضع الامتحان و ورقة الأسئلة واحدة من حيث الصعوبة.

كل إنسان على وجه الأرض له عالمه الخاص، هذا العالم يُخلق تبعاً لصفاته ومميزاته وعيوبه وشهواته ودرجة تحمله للابتلاءات، أحياناً يسعد الإنسان عندما يرى ورقة أسئلة غيره ظناً منه أن عالمه أسهل بكثير ولكنه يجهل بأن ورقة أسئلة هذا الشخص فُصلت له هو

فقط ولا يمكن بأن تكون لغيره مع أنها مماثلة لورقته فى درجة الصعوبة.

فى الصلاة يقف الوزير بجانب الغفير ؛ لأنهم باختصار خلقهم رب واحد ويؤدون امتحانًا واحدًا، فقط تختلف المسميات وعناصر الأسئلة ولكن درجة الصعوبة واحدة.

ورقتي دسمة وهذا يعنى أننى رجل قوى يا أحمد ولكن أحتاج إلى البحث عن تلك القوة بداخلي، أحتاج الى أن أجد نفسي!

رجع عم حسن من العمل ليجد أمينة واقفة بجانب غرفة آدم تسمع كلمات آدم وأحمد ودموعها تتساقط فأمسك يدها ودخلا إليهما وقال عم حسن لـ آدم :

مضي أربع سنوات ولو كانت والدتك على قيد الحياة لحزنت من أجلك، والدتك هى من طلبت منا ذلك وإن لم تفعل لفعلنا ذلك الأمر من أنفسنا، كنت ستربي فى الملاجىء نحن عائلتك وهذا بيتك، أنا والدك وهذا أخوك وهذه والدتك، ومن حقنا عليك بعد كل هذه السنوات أن تشعرنا بذلك كنت أعتقد أنك أقوى من ذلك وأني ربيت رجلاً لا يخشى ذلك العالم بمشكلاته وصراعاته.

لايخشي القدر ويتقبله، ولكنى لا أرى أمامي الآن غير رجل فى جحر فأر

هارباً من الحياة إلى عالم آخر لا يوجد به شىء إلا الندم والخوف.

كلماته كانت حادة كعادته، ولكن لم تكن أكثر من محاولة من آلاف المحاولات طوال السنوات الأربع.

وبعد أن أنهي كلامه ضمته أمينة إلى صدرها وامتزجت دموعها

بخصل شعره حتى امتزجت بدموعه.

ساد الصمت بينهم لدقائق حتى نطق آدم بتلك الكلمات :

أنا لست أكثر من رغيف عيش ينقص من على مائدتكم ليس أكثر من حالة إنسانية، اهتمامك هذا مزيف أنا لا أوجد فى خباياكم أنا لست منكم ولا أنتم منى تفاصيلنا مختلفة، هذه هى الحقيقة لا فائدة من الحديث ولكن أعطوني المزيد من الوقت وسأكون أفضل، أنا لست ضعيفاً ولكن هذه الحقيقة كانت أقوى منى، أقوى من أى بشر يا أبي.

لم يسمع عم حسن تلك الكلمة منه منذ ذلك اليوم أخذه بين ضلوعه ثم خرج هو وأمينة وعاد أحمد وآدم لحديثهما.

لاحظ أحمد ورقة مكتوب فيها (روح) فقال له مازحاً :

* أنا وحسناء سنخرج اليوم تعالى معنا أنت وروح.

" روحّ!

فانتبه آدم لتلك الورقة فأخذها ووضعها فى درج مكتبه ولم يرد عليه.

* ألن تخبرنى عنها ؟!

" ماذا أخبرك؟!

لا شيء اخرج أنت.

* لا ستخبرنى ألم تتحدث معها بعد؟

صمت آدم قليلًا ثم انفجر غاضباً :

" هل قرأت مذكراتي يا أحمد؟!!

فضحك أحمد قائلاً اهدأ اهدأ

* يجب أن تخبرها ماذا تفعل منذ سنتين يا آدم؟

سنتين!

" كيف أخبرها ونحن لم نتحدث من قبل.

* احكِ هيا.

" لا كفى ما قرأت. متطفل!

ضحك أحمد قائلًا :

* التطفل هوايتى المفضلة، اعلم أنك ستعود إلى خبراتى.

ثم خرج وظل آدم فى غرفته هائماً فى روح

كانت روح عاملاً هاماً فى خروج آدم من حالته تلك، هو لم يخرج كلياً بعد

obeikan.com

ولكن مع تطور علاقتهما ووقوعه فى الحب سينسى كل شىء أو بمعنى أدق ستكون روح السور المنيع بينه وبين ذلك الحادث.

لا يعلم ما يشعر به اتجاهها غير أنه ينسى كل شىء فى حضورها لا يعلم كيف التقطته من ذلك الإعصار الذى عصف بحياته، لا يعلم إن كان هذا الشعور هو الحب أم شىء آخر؟

الحب هو ذلك الشعور الغريب الذى يتسرب إلى قلبك رويداً حتى يتمكن منك بالكامل دون أن تشعر، فجأة تجد نفسك غارقاً فيه حتى أذنيك وتحلق كالعصفور فى سماء من تحب، تتملك تلك الابتسامة البلهاء فكل شىء حولك يبدو فى غاية الروعة، ولكن هل تكفى تلك المشاعر حتى تتأكد أنك واقع فى الحب؟!

فى الحقيقة لا الإنسان بطبعه يحب أن يكون محاطاً بالرعاية والاهتمام فهى غريزة وفطرة خلقنا الله عليها، وهذا هو السبب الغالب فى إنهاء الكثير من العلاقات، لذلك يختلط علينا الأمر فلا نستطيع الجزم إن كنا واقعين فى الحب أم هو مجرد إعجاب لا أكثر.

آدم كان يفكر فى تلك الكلمات طوال تلك السنتين ربما يكون ذلك ليس أكثر من إعجاب وربما تكون محاولة للهرب من حالته تلك ولن تكون أكثر من أداة لا أكثر حتى تخرجه من حالته.

ولكن ماذا لو كان حباً وقد شاء القدر أن ينزل عليه بعض نسمات الرحمة ليريح قلبه بعد ذلك العذاب، ربما كتب اسمه فى كشف مساكين هذا العام.

فالحب كلمة ازدواجية غير عقلانية تعشق إقحام الخيال بين أوتار الواقع

فرائسها مهما كانت القابهم، ومناصبهم، ضعفهم، وقوتهم ستوقع بهم بكل

غرور وكبرياء طالما وضعت قلوبهم فى كشف مساكين العام.

ذهب الى الجامعة فى الصباح وبعد المحاضرة الأولى ذهب إلى المكتبة

ليجدها هناك كعادتها فى آخر المكتبة مع روايتها وفى عالم آخر.

جلس أمامها بعد أن التقطت يده إحدى الكتب، ووضعه أمامه ثم نظر إلى عينيها كما يفعل دائما ينتظر تلك الحظة التى تبعد عينيها عن كتابها لتلتقط أنفاسها.

تعبيرات وجهها وهى تقرأ تثيره فالقراءة تزيد المرأة جمالاً على جمالها، دائما ما تجلس فى المكتبة بين المحاضرات لتكمل رواياتها الرومانسية ، كان يقرأ اسم كتابها أو روايتها ويقرأها عدة مرات حتى تنهيها هى.

روح تمتلك جاذبية خاصة جداً ربما بعض نسمات القمر التى تنساب ليلاً

لم تجد غير وجهها مأوى، فى وجهها جمال إلى أبعد الحدود ممزوج ببساطة المرأة العربية، جمالها أوقع رجالاً كُثر رغم صغر سنها، عينيها جزيرة فى وسط محيط هادىء لم يعثر عليها بشر حتى

الآن والنجوم تزينها من كل مكان والقمر عليها خآدماً لمن يأسر إحدى نظراتها للحظة واحدة، تنطق بهما كلمات تحتاج إلى قواميس لتفسرها، كلما نظرت إليها تنسى آلامك وأحزانك.

يا الله كيف هم الحور العين إذًن؟!!

وجه مستدير كأنه القمر وخدان تزينهما تلك الغمازات، شعر أسود فى خبايا الحجاب حالك كالليل.

يعجز آدم عن الكلام فى حضورها، ولكنه مع ذلك قرر أن يصارحها اليوم بحبه.

وبدون تفكير أخذ ورقة وكتب عليها كلمات ثم وضعها أمامها ورحل دون أن ينطق بكلمة واحدة! !!

لم يكن يعلم رد فعلها رغم ذكائه وقدرته على فهم من حوله بسرعة ملفتة

إلا أنها لم تختلف عنه كثيرًا فى انطوائيته وهدوئه الذى يصعب عليه الأمر

إضافة إلى قدرتها على إخفاء مشاعرها على عكس جنسها ولكنها مع ذلك ابتسمت! !!!

ابتسمت بعد أن رحل ابتسامة أخذت معها نفساً طويلا كأنها تعلم محتوى تلك الورقة، بل كأنها تعلم بحبه وكيف لا تعلم؟!

يجهل الكثير من الرجال أن المرأة لها قدرة خاصة على معرفة من يغرقون

فى حبهن عن بعد وبطرفة عين كرائحة العطر المميز.

أخذت الورقة ولم تجد سوى جملة واحدة فقط!

قرأتها مائة مرة وفى كل مرة تبتسم وتغمض عينيها ببطء، سعدت بتلك الكلمات البسيطة فقد علمت أنه مختلف عن باقى الذين تغزلوا بجمالها كأنها وردة تقطف لجمالها ولكنهم يهملون روحها التى ستموت، جعلوها تشعر بأنها ورقة وحيدة تتهاوى من شجرة استبدها الخريف غاية أمانيها أن تصل إلى مثواها الأخير، ولكن آدم أعاد إليها روحها بحبه الصادق وكبريائه...

كتب :

(منذ سنتين و أنا أسرق منك نظراتك، فى المرة القآدمة دعيها ملكى...)

أخذت الورقة ورحلت وبقى هو يراقبها من مكان قريب وهى ممسكة بالورقة حتى اختفت عن نظره، لا يعلم ماذا فعل فقد شعر بأن تلك الطريقة كانت حمقاء ربما كان من الأفضل أن يعترف لها بحبه بطريقة أفضل.

رجع إلى البيت ثم دخل إلى غرفته بعد أن طلب من أمينة أن تحضر له القهوة وبدأ يدون فى مذكراته ذلك اليوم بتفاصيله، كيف اعترف لروح بحبه وما شعر به حينها.

اللحظات الأولى فى العلاقة هى التى تحدد المسار الذى سيتخذه العلاقة إلى حد كبير حيث يأخذ منها الطابع الغالب من حيث الرومانسية من عدمها غالباً.

شعور جديد يضاف الى إحساسه اتجاهها اليوم ذلك الشعور الذى يحرك كل خلية فى جسده، لا يعلم ماذا سيفعل إن كان ردها هو الرفض، إنها ليست أكثر من خيبة جديدة تضاف إلى خيباته، لعبة جديدة من ألاعيب القدر.

أحضرت أمينة القهوة و جلست بجانبه و بعد أن أطالت النظر فى عينيه قالت له :

أنت تشبه والدتك فى كل شىء يا آدم، ورثت عنها هدوئها وعقلها وقوتها وحتى عنادها، ورثت ملامحها وتفاصيلها عينيها وشعرها، انتظرتك كثيراً يا آدم، ستة سنوات من الصبر حتى جئت ولم ترك!

طلبت منى بأن أهتم بك وأرعاك وقد فعلت حتى أصبحت رجلاً يا بنى، كانت ستفخر بك...

صمت آدم للحظات وعلم أن هذه الكلمات خرجت من قلبها مباشرة، ولكنه لم يُرد فتح باب النقاش فى هذا الأمر فأمسك زمام الحديث قائلاً :

أريد أن أخبرك شيئاً، أنا معجب بفتاة اسمها روح معى فى الجامعة منذ سنتين، ولكن لم أخبرها إلا اليوم وبطريقة أعتقد بأنها لم تكن مناسبة.

ابتسمت وقالت :

سنتين ولم تخبرنى!

كيف صارحتها؟

يعجز لسانى عن الكلام فى حضورها فكلما أردت أن أتحدث معها شىء ما يوقفنى، ولكن اليوم كتبت ورقة لها وصارحتها بها ولكن تركت الورقة لها وغادرت قبل أن نتحدث.

صبرت سنتين ولا تستطيع أن تنتظر حتى الصباح، إن كانت تبادلك نفس الشعور فلن تكون طريقة مصارحتك لها بحبك عقبة ولن تشكل فرق كبير، غير أنها طريقة رومانسية يا آدم.

ولكن سنتين يا آدم!

فضحك آدم ضحكة جعلت من أمينة سعيدة بل فى غاية السعادة فقد مرت أربع سنوات لم ترَ فيهم تلك الابتسامة على وجهه.

وفى صباح اليوم التالى ذهب آدم الى الجامعة وقابل روح فى المكتبة كعادتها ممسكة بإحدى الروايات ولكنها لم تكن تقرأ بل كانت تنظر أمامها، هى كانت على هذا الوضع منذ فترة منذ أن التفتت إلى نظراته لها.

شىء ما جذبها إليه مع أنها لا تعلم عنه شيئاً و لا تعرف بماذا تشعر تجاهه ولكن كل ما تعلمه أنها كانت تنتظر انتهاء محاضراتها لتذهب الى المكتبة وتخرج كتاباً أو رواية أمامها وتنتظر...!

لا تعلم شيئاً عنه غير هذا الشعور الغريب الذى كان يراودها فى حضوره فقد كان هذا الشعور يربط قلبيهما رويداً بخيط سميك حتى عقده عدة مرات دون أن يدرى أحد منهما ليجدا أنفسهم فجأة فى دوامة الحب.

روح لم تختلف عن آدم فى لهفتهه طوال السنتين ولكنه إلى هذا اليوم لم يعلم ذلك لم ينتبه إليها ولا إلى عينيها، بل كان كل تفكيره منصب على موقفها من شعوره اتجاهها وكيفية مصارحتها بحبه لها ولو انتبه إليها للحظات لوفر على نفسه الكثير.

جلس أمامها وما إن انتبهت لوجوده حتى صوبت نظراتها إلى كتابها، أخذ منها الكتاب لتنظر إليه وبالفعل نظرت إليه كما أراد وبعد أن طال الصمت بينهما قال :

أعلم أن تلك الطريقة كانت حمقاء ولكن منذ سنتين تقريباً وأنا أشعر نحوك بشعور غريب لم أشعر به من قبل، يجذبني فيكِ كل شيء.

دعينى أتعرف عليك أكثر هذا كل ما أريد فقد تكونى أنتِ الشخص الذى يعادل ما خسرته فى حياتى كلها وقد خسرت الكثير..!

أشعر بأنه كان بيننا محادثات طويلة أشعر بأنى دخلت إلى إعماق روحك وبأنكِ أنا بتفاصيلى وضعفى وهدوئى وغموضى...

أشعر بأنكِ وردة أريد أن أحتفظ بها فى دفاتري لتعطر كلماتي وتنثر فى حروفها الحياة!

اختفت ملامح روح وراء احمرارها، تعلم أنه صادق فى كل كلمة قالها

فنبرة صوته كانت تعانقها بحنان الدنيا ولهفة النجوم على الاقتراب من القمر.

ولكن كيف تشرح له هذا دفعة واحدة؟!

إنها كانت تبادله نفس الشعور دون أن تعلم، كانت تنتظره دون أن تصدق ذلك!

ارتبكت حتى كاد أن ينشق قلبها نصفين من تسارع نبضاته حتى وقفت واستأذنت منه للرحيل ولكنه حاصرها بطلبه مقابلتها مساء اليوم ووافقت دون أن تفكر بالأمر ومن قبل أن تعلم المكان.

رجع آدم الى البيت ليستعد للقاء الأول مع روح

كانت السعادة تغمره بعد أن شعر بقبول منها لمشاعره اتجاهها، عاد الى البيت بقلب آخر وعالم آخر، عاد بعد أن تبدل قلقه وخوفه بحب أصفي من الماء، وعندما دخل البيت وجد أمينة تُعد الغداء فقد اقترب موعد عودة عم حسن من العمل.

دخل غرفته وأخذ ينتقى ملابسه التى تليق بهذا اللقاء حتى انتبهت أمينة لوصوله ومن أول نظرة منها علمت ما دار بينه وبين روح لم يكن تخمين نتيجة لقائهما بالأمر الشاق عليها فيكفى تلك الابتسامة التى تملأ وجهه و لكنها مع ذلك سألته عما دار بينه و بين روح، لا

تعلم سبب سؤالها هذا وهى تعلم إجابته جيداً ولكن ربما افتقدت الى كلماته، إلى عينيه وهو يحكى أمر يسعده...

أخبرها وعينيه تفيض منهما السعادة حتى أنها تكاد أن تملأ القلوب المظلمة جميعاً : تحدثت معها اليوم

لا أعلم ما الذى قلته لها، ولكن أشعر بأنني تحررت من خوفي وأخبرتها بكل شئ، كل كلمة تفوهت بها كان يخلق غيرها دواوين، شعرت بها حقاً وأنا أتحدث معها وبأن شعوري نحوها لم يكن مجرد أعجاب بها و لا بجمالها ولكنه كان حب صادق، لم تنطق بكلمة واحدة ولكن رموشها لم تهتز قط أثناء حديثي وطلبتُ منها أن تقابلني اليوم ووافقت.

ألا يكفى أنها وافقت على هذا اللقاء دون أن تعلم عني شيئاً لأعلم أنها على الأقل تتقبل شعوري اتجاهها ؟!

ليتكِ رأيتي عينيها وأنا أتحدث معها يا أمي!

ابتسمت أمينة لكلمته الأخيرة

لم تسمع هذه الكلمة منه منذ ذلك اليوم وكادت أن تدمع عينيها

انتبه آدم ايضاً لما قاله ونظر إليها بابتسامة وكأنه أراد أن يُرويها من كأس السعادة الذى شرب منه اليوم.

فقالت له بصوت خافت حنون كعادتها :

رأيتها يا بني

رأيتها فى عينيك

أريد أن أرى تلك الفتاة التى أعادت إليك البسمة والأمل من جديد

قريباً، المهم أريد منكِ أن تنتقي لى ملابس تليق بهذا اللقاء.

أخذهما الحديث لوقت طويل حتى اشتمت رائحة دخان تنبعث من المطبخ وتذكرت الطعام التى تركته على النار فأسرعت إليه بينما آدم كان منشغلاً بأشياء كثيرة حتى أنه لم يشعر برحيلها.

أخرجته روح من ذلك العالم الملئ بالحزن والحسرة والغضب إلى عالم آخر لا يوجد به غيرهما هذا العالم الذى خُلق لهما، لهما فقط...

وبينما هو هائم بها وبهذا اللقاء سمع صرخة حطمت ابتسامته وأخذته بعيداً إلى ذلك البيت، لا يعلم إن كان حلماً أو أن القدر يرفض ابتسامته ويلاحقه برماد ذلك الحادث وآلامه، لا يستطيع الحراك وكأنه يرفض خوض هذه التجربة مرة أخرى واكتفى بالاستسلام!

أخذ وقت شعر بأنه سنوات وسنوات ولكنه قرر مع توالى الصرخات بأن يحرك قدميه نحو مصدرها، وعندما وصل إلى المطبخ بخطوات بطيئة وجد النيران تلتهم ملابس أمينة وهى تحاول إطفائها وهو واقف مكانه دون حراك.

تجمدت كل المشاعر لديه وقلبه شبه متوقف عن النبض، شىء ما يقيد جسده ربما ذلك التمثال وربما أمه!

سقط على الأرض مغشياً عليه بعد أن ضعفت قوته، بعد أن أخذ بعيداً إلى ذلك البيت و أعاد معايشة كل لحظة به بهدوء مميت، ليته غاب عن الوعى فى ذلك اليوم، ليته لم يذهب إلى ذلك البيت، ليته لم يعلم حقيقة والديه من البداية واستمر فى معايشة عالم غير عالمه بغير علم، بل ليته لم يُخلق وبقى يسبح فى العدم وحيداً!

أى ابتلاء هذا!!

لقد سطر القدر السطور الأخيرة فى عالمه منذ ولادته وهو الآن يتذوق لهيب حروفها باستسلام تام وهو ينزف دماً إلى آخر حرف بها...

بدأ يستعيد وعيه ليجد نفسه فى المستشفى وبجانبه عم حسن وما إن وقعت عينيه عليه حتى تساقطت دموعه وبدأت تلك الرعشة تراوده من جديد، ماذا سيقول له؟!

رأيتها تعذب والنيران تلتهما وأنا واقف أشاهدها دون حراك!

إحساس قاتل

ولكن عم حسن طلب منه بأن يهدأ وطمأنه بأن أمينة بخير...

وصل أحمد إلى المستشفى بعد علمه بالحادث وهو منهار من شدة البكاء لا يدرى ما أصاب والدته، ولكن عم حسن أخذه وخرج به بعيداً عن آدم وقال له :

رجعت من العمل وما إن دخلت من الباب حتى سمعت صراخ والدتك فأسرعت إليها فوجدت آدم ملقى على الأرض والنيران

مشتعله فى جزء من المكان وأمسكت بوالدتك ولكنها لم تتمكن منها كلياً فقد وصلت قبل أن ينتشر الحريق - الحمد لله -

هى بخير فقط بعض الحروق البسيطة فى قدميها ويدها اليسرى.

فسأله أحمد :

وأين كان آدم؟

فأخبره عم حسن قائلاً :

آدم لم يتعافى من حالته بعد يا أحمد ولن يتعاف منها أبداً، أعطه العذر فحقيقة والديه المؤلمة لم تكن بالأمر اليسير عليه، آدم رجع الى نقطة البداية، إلى ذلك اليوم، لا أعلم ماذا أفعل!

بعد خمسة أيام

ظل آدم فى غرفته منذ خروجه من المستشفى، امتنع عن الحديث مع أحد، امتنع حتى عن الطعام والشراب وبدأت تلك الكوابيس تراوده مجدداً

حلم بأنه مقيد فى ذلك التمثال والنيران تقترب منه وهو يحاول الهروب ولكن دون جدوى حتى تتملكه النيران كلياً ولا تتركه إلا ورماد حطامه يختلط بتراب ذلك البيت الذى خلفه الزمن!

علم أن هذا الكابوس هو حقيقة عالمه، علم بأنه لن يخرج من ذلك البيت فى ذلك اليوم كما دخل إليه وبأن روحه حبست هناك وهى الآن تعذب بالآلام والأوجاع

علم بأنه لا يحق له العيش فى هذا العالم و أن الحياة يجب أن تقتصر على جدران غرفته حتى النفس الأخير.

(روح)!

تُرى أذهبت إلى مكان اللقاء فى ذلك اليوم؟!

ماذا فعلت لو ذهبت ولم تجد آدم هناك، وماذا لو انتظرته لوقت طويل وبدأت الهلاوس تسيطر عليها بأنه ربما لم يكن ذلك الأمير الذى انتظرته طيلة سنواتها فى ذلك القصر، من المؤكد أنها شعرت بخيبة كبيرة...

ولكن لم يكن ذلك ما يشغل آدم

ما يشغله هو أن يبتعد عنها و يتركها، بل و إن استطاع بأن يمسك يدها ويأخذها إلى مكان بعيد جداً ويتركها هناك ويعود لفعل!

ما يشغله هو ألا يقحمها فى صراعه مع الحياة، وألا يربط حياتها بعقد سميكة مع رجل كتب عليه القدر العذاب، برجل فقد اللذة والمتعة والأمل فى الحياة وكُتب عليه الموت فى كل لحظة.

قدر ضعفه وقلة حيلته أمام القدر، قرر أن يضحى بها من أجلها، استسلم للحياة ورفض النهوض ثانية من الفراش.

دخل عم حسن الغرفة عليه وجلس بجانبه، ثم قال :

إلى متى يا آدم؟!

لست وحدك من يبتلى فى هذا العالم يا بنى

لكل إنسان ابتلاؤه الخاص الذى فُصل له على قدر استطاعته وعلى قدر قوة تحمله وصبره ولولا أن الله أعلم بأنك أقوى من استسلامك هذا لبلائك ما ابتلاك به وأعلم أيضاً أنك تعلم هذا جيداً

تحدث معه لوقت طويل فى محاولة منه لتخفيف آلامه ولو قليلاً، وأثناء حديثهما دخلت أمينة بعرجة خفيفة إثر إصابتها ونظرت إلى آدم نظرة طويلة بابتسامة جميلة التى طالما ما أدخلت الطمأنينة إلى قلبه

، ثم قالت له :

أنا بخير يا بنى

لا تحمل نفسك فوق طاقتك كان هذا الحادث غلطتى أنا

يجب ألا تستسلم لحالتك تلك وأقنع نفسك دائماً بأنك قد ابتليت بالقليل حتى تتحمل ذلك الابتلاء بالقليل أيضاً!

دخل أحمد عليهم ولكنه ليس بمفرده

معه روح!

فخرج عم حسن وأمينة بعد أن رحبوا بها وقال أحمد له مازحاً :

عثرت عليها عن طريق مذكراتك يا صديقي...

ثم خرج وتركهما على أمل أن تخرجه من هذه الحالة

جلست روح بالقرب منه وهى تحبس دموعها، ثم قالت له بصوت باهت حزين :

أخبرنى أحمد كل شىء أخبرنى عن والديك وما فعله والدك وما مررت به منذ علمك بهذا الحادث، أخبرنى عن الحادث الذى حدث لوالدته ورد فعلك، أخبرنى عن استسلامك هذا...

ولكن لم تخبرنى أنت بهذا

أخبرتنى بأننى قد أكون الشخص الذى يعادل ما خسرته فى حياتك ولكنك لم تعطنى الفرصة لأثبت لك ذلك!

أشعر أيضاً بذلك الشعور نحوك انتظرتك لوقت طويل، لن أتركك يا آدم بعد أن جمعنا القدر وأوقع بنا دون أن يعرف أحدنا الآخر، لن أتركك ولن أستسلم مثلك

إن كنت ضعيفاً فأنا قوية وسأكون درعك وجيشك القوى فى هذه الحياة...

صمت آدم وتعجب من حديثها ومن مجيئها إليه، ولكنه كسر صمته بسؤاله :

لماذا تفعلى ذلك؟!

فأجابته قائلة بعد أن استسلمت لضعفها وأنوثتها وحررت دموعها أمام عينيه لعلها تشعره بمدى حاجة تلك الفتاة إليه!

لأن ما أشعر به اتجاهك أكثر من مجرد إعجاب

جذبتنى بكلماتك فى ذلك اليوم الذى صارحتنى فيه بحبك

أنا أيضاً أشعر وكأنك أنا بتفاصيلي، هدؤي، عقلي وحزني

لن أقول لك بأنك قد تكون الشخص الذى يعادل ما خسرته فى حياتي، بل إنك الشخص الذى جعلنى أنسي تلك الخسارة دون أن يتفوه بكلمة واحدة!

شعوري نحوك هو من ملأ الفراغ الذى كان يسكنني، كنت أحيا وحيدة فى هذا العالم قبل ظهورك فى حياتي

والدي يعمل فى مجال المحاماة

ثرى وعمله يأخذ منه وقته بالكامل وبالرغم من أنه أبي إلا أنني لم أشعر بحنانه قط، لم أسمع نبضات قلبه وأنا بين أضلعه، أشعر وكأنه قد سخر كل حياته لجمع الأموال و حسب و بالفعل أصبح يملك الكثير منها واسمه معروف ويملك سلطة قوية بقضاياه الكبيرة، لم يكن بالنسبة لي ذلك الميزان الحساس الذى أقيس به شريك حياتي ولا يزال حتى الآن.

والدتي توفت منذ أربع سنوات، كانت أمي وأختي، كانت عالمي ودفن ذلك العالم معها فى قبر واحد بعد موتها، وقفت بجانب والدي حتى جعلت منه ما هو عليه الآن

أحبته رغم فقره وتزوجت منه بعد صراع طويل مع عائلتها حتى وافقوا، دخلت فى نوبة من الانهيار والاستسلام بعد موتها وبقيت على هذه الحالة لفترة طويلة.

لم أجد حولى من يمسك بيدي.

لا أملك أصدقاء وعلاقتي سطحية مع عائلة أمي وحتى عائلة أبي لا أعلم عنها شيئاً

أنت الآن كل ما أملك يا آدم

كيف أشرح لك أننى كنت أنتظرك منذ زمن طويل؟!

كنت... كنت طوال ذلك الوقت أتعلق بقشة كالغريق تماماً يعلم أنها لن تنقذه ولكنه كان يتمسك بكامل حقوقه فى التمسك بالحياة

لم أستسلم وأنتظرت وها أنت الآن يا آدم مستلقى على الفراش كالعاجز تماماً.

تساقطت دموع آدم بعد كلماتها، ثم قال بصوت خافت :

اتركينى يا روح!

لا أقدر على فعلها

عالمى لا يوجد به سوى الألم، أنا رجل كُتب عليه العذاب ودفنت روحي فى صناديق القدر، أنا رجل ليست له هوية

لست ذلك الرجل الذى انتظرتيه ولن أكون

ضللتى الطريق يا روح!

صمتت ولكنها لم تستسلم له وقالت :

ذلك الشعور الذى نشعر به هو الحب يا آدم

جميع البشر يشعرون دائماً بالندم والكره والحزن والسعادة وغيرهم ولكن الشعور الوحيد الذى يدخل يراودنا فجأة مرة واحدة فى العمر هو الحب

الحب الذى يربط آدم بحواء منذ بدء الخليقة، الحب الذى توج ملكاً على كل المشاعر الإنسانية

عندما يقع الحب بين شخصين يُخلق عالم ثالث لهما

هذا العالم فى جميع الأحوال له الكلمة الأولى والأخيرة، قوانينه مختلفة

المرفوض فيه مقبول، أوله جنة وأخره جنة وبين الأول والأخر تفاصيل مرهقة وشعور مزدوج وقلبين يتيمين سعيدين بين أسواره

آخر هذا العالم جسر ملئ بالأشواك لمن يتركه ويثور عليه عاصياً لينزف دماً ومع كل قطرة تسقط معها ذكرى مرتبطة بهذا العالم ليدفع ضريبة العصيان

لهذا العالم كبرياء من نوع خاص جداً يا آدم!

دخلت معك ولن أخرج منه أبداً

ألا يكفيك عالمنا يا آدم؟!

أنا لم أعشق اسمك ولا هويتك، بل عشقت روحك

دعك من عالمك هذا ودعنا نركض فى عالمنا الخاص!
وقفت من مكانها واقتربت منه أكثر، ثم قالت له :

قد أكون ضعيفة ولكنني لا أستسلم أبداً

لا أعلم كيف ظهرت فجأة فى عالمي، ولماذا؟!

ولكنك أصبحت عالمى الآن

نملك الحب وهو أهم من أى شىء آخر وهو الأقوى يا آدم

وإن بقى لى يومًا واحدًا فى هذا العالم

أفضل قضاءه معك

أسبوع، شهر، سنة، حياة...

أفضل قضاءها معك أنت ولا أحد سواك

إلا إذا أردت شيئاً آخر، شيئاً لا يحتويني أنا

قالت كلماتها ورحلت!

علمت أنه يجب أن يخرج من حالته تلك بنفسه، علمت أنه إن كان يحبها سينهض من فراشه ويبحث عنها...

رحلت بعد أن أيقظت عود ثقاب فى قلبه لعله يُشعل حماسته ويحرق ذلك الحادث حتى الرماد بنيران أقوى، كلماتها كانت قوية حركت فيه إحساسه اتجاهها، بل أشعرته بالضعف أمامها فى وقت كانت تنتظر منه أن يكون درعها وطبيبها.

obeikan.com

نهض عن فراشه وأخذ دفتره وبدء يكتب فى صفحة بيضاء جديدة وأخذ يكتب لفترة طويلة

ربما رسم حياته معها، رسم العالم الثالث الذى تمنت روح العيش به.

لم ينس تدوين كلماتها، أناقتها وشعوره نحوها وهى تحدثه يتلك الكلمات، سعد بها وبمجيئها وأخفى ذلك الشعور ليسمع المزيد منها ومع كل ما قالته لم يشبع بعد!

وبعد أن أنهى كتابته اتصل بها وما إن ردت حتى قال لها :

اليوم فى نفس المكان والموعد؟

ستأتى إذن أم ستتركني أنتظر؟

لا أنا من سينتظر هذه المرة، سأكون هناك قبل الموعد.

وعالمك هذا؟

وفراشك واستسلامك وحادث والديك؟!

يكفيني أنتِ، يكفيني عالمنا...

أنهى المكالمة ليجد أحمد بجانبه ينظر إليه تلك النظرة التى تشعره دائماً بأنه كتاب مفتوح أمامه، وكيف لا وهو يكبره بأربع سنوات؟

فقال له أحمد :

حسناً دعني أذهب معك

لا

سأحضر معى حسناء

لا، ولا تقلق جئت أم لا ستعطيني المال

ضحك أحمد وتركه ورحل

لم يتعجب من تغير حالة آدم بهذه السرعة بكلمات بسيطة من روح، يعلم جيداً تأثير الحب فى نفوس البشر فهو غارق به أيضاً، الحب الذى ينظف القلب من شوائبه ويعطيه الأمل فى حياة جديدة.

ذهب آدم إلى مكان اللقاء مثلما أخبرها وصل قبلها وانتظر...

مقعد رخامى بسيط على النيل، لا شك أنه قد جلس عليه ألف قصة حب وأكثر، ربما ليس بالمكان المميز للقاء الأول ولكن آدم يعشق هذا المكان تحديداً، كثيراً ما كان يتردد إليه بعيداً عن تلك الضوضاء الصاخبة على الجانب الأخر من النيل وعن تلك السفن النفيسة التى تزعجه بأضوائها وأصواتها وضحكات من بداخلها التى تغلب عليها المجاملات.

* تأخرت؟

- أنا من تأخرت، كان يجب أن يكون هذا اللقاء منذ سنتين...

* أنت صَبور جداً يا آدم.

- ليس صبر وإنما تملكني الخوف.

* خوف!

- خفت عليكِ مني، حياتي المظلمة، و حقيقة والدي، ومن قدر بات يلاحقني فى كل مكان.

* لا أريد سماع ذلك

أنا وأنت الآن بمفردنا فى عالمنا ولا أحد سوانا لا والديك ولا ذلك الحادث.

- لماذا تفعلي ذلك؟

* سؤال ساذج!

لماذا نهضت أنت من على فراشك وجئت إلى هنا الآن؟

إنه الحب يا صديقي

ابتسم آدم بعد أن علم أن القدر قد قرر فتح أبواب الرحمة له أخيراً بعيني تلك الفتاة، هى أيضاً نست حزنها وحياتها الفارغة وموت والدتها فى حضوره واكتفت به رجلاً وأخاً ووالداً...

ـ ماذا قال لكِ أحمد؟

* حكى لي عن والديك

حكى لي عن أشياء لا تهمني كثيراً غير أنها أزعجتك وأدخلتك فى حالة سيئة فقط هذا ما أزعجني، لا يهمني من أنت لا اسمك ولا هويتك ولا عائلتك فقط روحك يا آدم.

أحمد يحبك كثيراً لم تر دموعه وهو يخبرني!

الحقيقة لا تختبئ فى خبايا الزمن للأبد و لا بد أن يأتى لها يوم وتُجرد من أسوارها لذلك لا تختبئ وراءها مباشرة حتى لا يصيبك الهدم!

- أحمد كان يريد أن يأتى معي اليوم مع حسناء خطيبته...

* فى المرة القآدمة، ماذا يعمل؟

- محام

* جيد سأجعله يعمل فى مكتب والدي إذًا.

ـ حسناً سأخبره.

ساد الصمت بينهما للحظات أخذت عينيهما فيها زمام الحديث، قطعها قول آدم وهو يخبرها بصوت خافت :

- لا تتركيني يا روح

أنتِ آخر أمل لي فى هذه الحياة، لا تتركيني وحدي

لا أريد العودة لتلك الحالة، لذلك السجن الذى أصبح وطني دون إرادتي، لا أريد زيادة صندوق خيباتي بخيبة جديدة هى الأقوى.

* خيبة!

لن أصبح خيبة لرجل وهب لي قلبه باستسلام تام وتركني أتجول فى خباياه دون ملل.

- وهبتكِ قلبي باستسلام تام وأعطيتكِ الإذن فى التجول فى خبايا عقلي وقلبي دون ملل.

* وأنا وهبتُك راحتي وقلب ظمأن وضلعاً قوياً أنت مالكه...

- ولكن لو فعل النصيب فعلته معنا؟

صمتت للحظات ونظرت إلى النيل نظرة طويلة

شعر حينها بسذاجة سؤاله لترد عليه وعيناها هائمة فى سحر النيل :

* سأفقد ذاكرتي وأبدأ من جديد

ولكن حينها كُن جالساً أمامي، أعذرني سأسألك من أنت!

حينها ابتسم وقال أنا (آدم)...

لا تقل غير ذلك ولا تجلس أمامي مباشرة، اجعل بيننا مسافة كافية حتى لا نسقط وأنا ألقي نفسي بين كتفيك...!

ابتسم آدم بعد كلماتها تلك فأتبعته بقولها :

تلك الابتسامة هى التى ستعود حاملة ذاكرتي من السماء السابعة إلى قلب أبيض ينبض بتفاصيلك، الشعور الذى أشعر به الآن يستحق

الصوم طوال سنواتي السابقة، ذلك الشعور الذى نبتت ثماره لسنوات وأقطفها الآن بيدك.

أشعر وكأن العالم ببلدانه ومدنه وقراه يقتصر على تلك السنتيمترات التى تملكها قدميك، أشعر بأنك مني بل أشعر بأنك أنا بتفاصيلي بقلبي بروحي، أشعر بأن الشعور اقتصر على شعوري بك وكفى به شعور.

أشعر بتلك اللمعة التى تزين عينيك وأعلم يقيناً أنها ملكي، ملكي أنا وحدي وكفى بها رزقاً...

نظر آدم إلى النيل وسحره بعد كلماتها حتى سألته :

* ما بك؟

- ما بكِ أنتِ!

كان يجب أن أقول أنا تلك الكلمات يا روح

ماذا أقول الآن؟!

ضحكت لتملأ ضحكتها فراغاً بداخله خلفه حقيقة والديه المؤلمة، شعر بأن القدر رزقه بها ليهون عليه آلامه وأحزانه، رزقه بالحب الذى يغير نظرتنا لهذا العالم لنصنع منه عالمًا آخر يليق بتلك الكلمة.

ذلك الشعور المحرم من قبل الإنسانية مع أنه فطرى يقع دون اختيار ونسوا أنه رزق كالمال والبنون ولكنه يختلف عن تلك

الأرزاق المادية فيتسرب إلى القلب من أقصر شريان ليتملكه تملكاً تام، وإنما التحريم يقع فى التصرف الذى يبني على الشعور به

فاللهم إنَّا قد رزقنا بحب عبادك ونحسبه رزقاً لا ابتلاء فلا تحاسبنا بما لا نملك وكفى به رزقاً بعد حب المرزوق للرازق...

وانتهى لقائهما الأول بصورة معاً ورجع كل منهما إلى بيته بقلب الآخر.

رجع آدم إلى البيت

دخل إلى أمينة فمازالت على فراشها حتى شفائها من إصابتها، قبَّل رأسها وجلس بجوارها فقالت له :

* كيف كان لقاؤك؟

- كان مثل حضنك يا أمي!

كنت أخشى أن تكون خيبة أخرى لكنى لم أجد فى عينيها غير الحب، لم أجد غير الحياة.

*احكى لي عنها، عن والديها

- (روح)

لا أعلم عنها غير روحها

بسيطة جداً ربما لا تكون أجمل امرأة ولكنها أجمل ما رأيت ولن ترى عيني غيرها.

والدتها توفت منذ أربع سنوات ووالدها محامي كبير يدعى (محمد عبد الله).

* (محمد عبد الله)!

أين مكتبه؟

- أعتقد فى المهندسين

أتعرفينه؟!

* لا، لا أعرفه.

- قالت لي روح إنها سوف تتحدث معه من أجل أحمد

سيستفيد من خبرته بالتأكيد ولكن لا تخبريه حتى يوافق

* حسناً

هيا اذهب غير ملابسك وأنا سأحضر لك الغداء.

- لا تغادرى الفراش.

* اذهب الآن لا تخف إنها حروق بسيطة، اقترب موعد وصول والدك من العمل.

- حسناً.

obeikan.com

دخل آدم غرفته وظلت هى على فراشها حتى وصل عم حسن من العمل، تحدث معها ولكنها لم ترد عليه كأنها فى عالم آخر، شىء ما يسيطر على عقلها حتى انتبهت له :

* وصلت!

- ما بك؟

مازلتِ تشعرين بالألم؟

* لا أنا بخير، سأحضر الطعام حالاً.

ماذا بك أنت؟

يبدو عليك التعب.

- لا أعلم

منذ أن وصلني هذا الظرف إلى الآن لم يصلني شىء آخر ولم يحدث شىء!

* قلت لك أكثر من مرة بأنه ربما من شخص آخر غير نجيب

مضى أربعة سنوات على هذه الورقة وأكثر من عشرين عاماً على ذلك الحادث، لا يمكن أن يكون هو يا حسن.

- إن لم يكن هو فمن؟!

* لا يهم من الذى أرسلها

obeikan.com

المهم أن لا يكون نجيب.

- لكن كيف أتأكد من أنه ليس هو من أرسلها؟

* لا أعلم.

لم يكن علينا سوى الانتظار وانتظرنا طويلاً.

- حسناً.

صحيح، سنذهب إلى الطبيب اليوم لنطمئن عليكِ.

* ذهبت أمس

نسيت أن أخبرك فقد عدت من العمل متعب و خلدت إلى النوم مباشرة ولم أرك وأنت ذاهب الى العمل اليوم فأنت لم توقظني.

- ذهبت مع من؟

* ذهبت وحدي.

- وحدكِ!

وأثناء حديثهما طرق الباب

ذهب عم حسن ليجد ساعي البريد، استلم ظرفاً شبيه بالظرف الذى وصله إلى المصنع، فتحه ليجد ورقة مكتوب بها :

(ولن أطفئ لهيبه حتى تصبح رماداً، أعد لي ما قتلت من أجله)

أسرع إلى أمينة

obeikan.com

قرأت الورقة بهدوء غريب ثم أدخلت الورقة فى الظرف ونظرت إليه دون أن يظهر أى علامة من علامات الخوف والقلق عليها وقالت :

* ماذا ستفعل؟

- سأبلغ الشرطة.

* ماذا ستقول للشرطة؟!

رجل قتل زوجته من واحد وعشرين عاماً واختفى منذ ذلك الحادث والآن بعد كل هذه السنوات يعود ليقتل ابنه وكل من ساهم فى إبعاده عن يديه.

لن تصدق تلك القصة الدرامية السخيفة يا حسن.

- أنتِ على حق.

حسناً، سأجلس هنا على هذا المقعد أمام الباب وأنتظر مجيئه ليقتلني!

* ومن قال لك إنه يريدك أنت، هو يريد آدم فقط، لماذا أنت خائف هكذا؟!

كلامك معي فى المرة السابقة يدل على أنك لا تهتم بأمر آدم، لا تهتم إن كان فى خطر أم لا ، لا تهتم إلا بنفسك وبحياتك أنت

إذاً اجلس هنا على هذا المقعد وانتظر مجيئه ليقتله هو ويرحل!

كما قُلت لي آدم ليس ابنك...

- أمينة

أعلم أنكِ تحبين آدم كابنكِ أحمد تماماً وأنا أيضاً أحبه، لن تذهب تلك السنوات سُدى ولكني كنت أظن أن نجيب لن يعود بعد فعلته تلك وأيقنت ذلك مع مرور الأيام ثم السنوات، ولكن نجيب عاد الآن ليحول حياتنا إلى جحيم بمعنى الكلمة.

أنا أشعر بالخوف عليكِ وعلى أحمد أكثر من نفسي، أما آدم فهذه حقيقة حياته وعالمه وهذا والده ما كُتب له سيلقاه مهما طال الزمن.

أنا أحبه مثلكِ وأكثر بدليل أنني لم أخبره بتلك الرسائل، لم أخبره أن والده مازال على قيد الحياة ولكن أخبرته بحقيقة والديه للسبب الذى أخبرتك به ليس أكثر من ذلك ولا أقل.

ماذا يعنى بـــ (أعد لي ما قتلت من أجله)!

* لا أعلم

ربما يتهمك أنت بقتل مها!

- ولكن لماذا؟

* هو مريض وأعتقد بأنه لم يشعر بما فعله

وربما اعتقد بأنك كنت تريد أن تقتله لسبب ما نجهله، أو أنك من خنته مع مها!

صمت حسن للحظات وبدى عليه الخوف حتى ابيضت شفتيه!

- مستحيل

لن يشك فى صديقه يا أمينة، كنا أصدقاء!

ربما يقصد آدم

يقصد أن أعيد آدم له بعد أن قتل زوجته من أجله

يقيناً هذا ما يقصد...

- حسن

مهما حدث لا تخبر آدم عن تلك الرسائل، يكفيه ما علم لا تزيد عليه الشعور بالخوف.

ذهبت أمينة لتحضر الطعام وظل عم حسن فى الغرفة يفكر فى كلمات الرسالة الأخيرة، بدى عليه الخوف والارتباك والندم، ندم على ما فعله مع آدم ندم على إخباره بحقيقة والديه ولكنه للحظات أخرى يتملكه الخوف من نجيب فيندم على رعايته لــ آدم طيلة هذه السنوات.

منذ أن كان آدم طفلاً كان يشعر بشىء ما يجذبه إليه ولكنه لم يدرى ما هو، كان صادقاً مع أمينة فى حديثه فقد أحبه بالفعل ولم يفرق فى المعاملة بينه وبين أحمد قط، ولكن رجوع نجيب أعاد له ترتيب أولوياته فكتب آدم فى أدنى القائمة.

يعتقد بأن نجيب لا يقصد آدم فى هذه الرسالة!

لا يقصد بأن يعيد له آدم لأن باختصار آدم لم يكن معه من البداية حتى يعيده له ليستخدم ذلك اللفظ فى رسالته.

ولكن ماذا يقصد بذلك؟!

جلسوا على المائدة ليتناولوا الطعام جميعاً

لاحظ أحمد صمت والده الغير معتاد فقد اعتادوا فتح مواضيع مختلفة ومناقشة أمور عديدة أثناء تناول الطعام ولكنه لا يتحدث اليوم، بل ممسك بقطعة خبز ويفركها بيده، بدا عليه وكأنه يفكر فى أمر ما، فى شىء نقل عقله إلى مكان آخر خارج حدود البيت فسأله :

ماذا بك يا أبي؟

لم يرد عليه، ربما لم يسمع كلماته

كلمات الرسالة هى من كانت تتردد على أذنيه كأصوات الحفلات الصاخبة، يعلم يقيناً بأن نجيب يقصد بكلماته شيئاً آخر، هناك شىء ما ناقص فى الرسالة!

أعاد أحمد سؤاله عليه أكثر من مرة حتى أجابه دون أن ينظر إليه وهو على هيئته قائلاً :

لا شىء يا آدم

(آدم)!

أنا أحمد يا أبي، فيما تفكر؟

لا شيء بعض المشاكل فى العمل لا تشغل بالك أنت.

لم تُصدر هذه الكلمات منه بل من أمينة فأكملت :

والدك متعب قليلاً من العمل يا أحمد

لا تخف لا يوجد شيء...

وبينما هى تتحدث مع أحمد وقف عم حسن وغادر البيت مسرعاً دون أن ينطق بكلمة واحدة!

لا أحد يعلم وجهته ولا فيما يفكر حتى أمينة لا يبدو عليها الخوف ولا التعجب من عودة نجيب مرة أخرى، ربما ترى عودته أمر طبيعى جداً، وربما تعتقد بأن هناك شيئاً ما بين عم حسن ونجيب تجهله...

حاول أحمد وآدم اللحاق به ولكن منعتهما أمينة بعد عناء وطمأنتهم بأنه بخير ولا يوجد شيء به وأنه خرج لاستنشاق بعض الهواء فى مكان ما مع أصدقائه.

اقتنعوا بكلماتها فأنهوا طعامهم وجلسا معاً فى غرفة آدم ودخلت أمينة غرفتها لترتاح قليلاً.

وقال أحمد لــ آدم :

* أبي به شيء غريب يا آدم

لم أره على هذه الحالة من قبل

- أعلم

ولكن كما قالت أمي ربما مشاكل فى العمل.

* لا أعلم، ربما

صحيح، ماذا فعلت مع روح؟

- لا شيء يا متطفل

* آدم أنا لست والدها احكِ هيا

- قالت بأنك أخبرتها بكل شيء

حقيقة والدي

وقالت : بأنها لن تتركني مهما حدث وأخبرتني بأنها تحبني أيضاً منذ وقت طويل.

* هى من قالت لك ذلك!

وأنت ماذا قُلت؟!

- قالت كل شئ ولم تُبقى لي كلمة واحده لأقولها.

ضحك أحمد فضحك آدم أيضاً، ثم قال :

هى عاقلة إلى حد كبير وتتفهم الحياة ومشاعر الإنسان جيداً يا أحمد

علمت أنني كنت فى حالة عصيبة، أعلم بأن كلماتها كان يجب أن أقولها أنا، ولكن فى الحب لا يهم من ينطق المهم أن تقال تلك الكلمات وبأن يشعر كل منا بمشاعر الآخر.

أتعلم!

لقد أزاحت عن قلبي جبلاً بأكمله كان عالقاً بيني وبينها منذ أن وقعت فى حبها، كنت خائفاً من أن أخبرها بتلك الحقيقة، لم أكن أعلم إن كانت ستتقبل هذا الأمر أم لا

هذا ما جعلني أتردد فى مصارحتها بحبي لها طوال السنتين ...

* ليتك رأيت عينيها وأنا أخبرها يا آدم

كانت تشبه عينيك حينها بحزنك وألمك، كأنها شعرت بما تشعر به

علمت حينها بأنها تحبك كثيراً مثلما تحبها أنت

ولعلمك هى من طلبت مني بأن تأتي لتراك فى ذلك اليوم وليس أنا!

- ولكن كيف وجدتها؟!

* دائماً ما كانت تجلس فى المكتبة بين محاضراتها فى مكانها المعتاد فى آخر المكتبة بعيدة عن أعين الجالسين وفى عالمها الخاص.....

- كفى يا أحمد.

* كنت أجلس أمامها وهى تقرأ رواياتها و أسرق منها نظراتها وهى تقلب الصفحات صفحة تلو الأخرى...

- كفى يا أحمد

ولا تقرأ مذكراتي مرة أخرى

ضحك أحمد، ثم قال :

* كنت أعلم يقيناً بأنها ستخرجك من حالتك، لذلك وافقت على طلبها على الفور

و أحضرتها اليك وبالفعل لم تمضِ معك سوى دقائق معدودة حتى أعادت لك روحك من جديد.

كأن الأربع سنوات مروا عليك لحظات معدودة دون أثر!

إنه الحب يا صديقي...

- معك حق.

أنت خبير بهذه الأمور، كيف حال (حسناء)؟

* بخير، لم أرها منذ يومين.

- لماذا؟

* كانت متعبة قليلاً، سأذهب إليها اليوم لأخذ رأيها فى بعض الأمور

حفل زواجنا بعد ثلاثة أشهر كما تعلم، ستصلك الدعوة قبلها بأيام

ستحضر صحيح؟

- لا أعلم

إن لم أكن مشغولاً سأفكر بالأمر، أعدك

* حسنًا اتفقنا

نسيت روح، سأرسل لك دعوتين إذن

- لا ترسل شيء، لن نحضر.

* سأرسل دعوتها لها بنفسي إذن فأنا أعلم أين أجدها الآن.

- أخرج من غرفتي، هيا.

أحمد

صحيح ، والد روح محامٍ كبير ولديه مكتب كبير فى المهندسين وقد قالت لي : بأنها ستتحدث معه لتعمل فى مكتبه

ستستفيد منه بالتأكيد.

* حسناً

لا يوجد مشكلة اتفقنا

سأبدل ملابسي وأذهب الى حسناء.

obeikan.com

بقي آدم وحيداً مع مذكراته

يدون بها لقائه الأول مع روح، كتب ما شعر به نحوها، كتب بأنه شعر بروح أخرى تملكت جسده، شعر بأنه كان يتنفس أنفاسها وبأنه كان فى غاية الجمال والأناقة وهو يرى صورته فى عينيها، تلك العينين التى طالما ما كان يسرق نظراتها من حين إلى آخر، الآن أصبحت ملكه، ملكه هو فقط و للأبد.

كتب عن أناقتها وانتقائها لملابسها و عطرها الذى عطر ضلوعه، كتب عن تلك اللمعة التى زينت عينيها وهى تتحدث وأنه كان هائماً بها دون تردد أو خجل.

كتب حتى عن مكان لقائهما وبأنه رغم بساطته إلا أنه كان أجمل بقعة فى ذلك العالم، بل اقتصر العالم كله على تلك البقعة التى تحمل ذلك المقعد ونيله إلى أقرب سحابة من القمر.

كتب عن رياح النيل الهادئة و كيف كانت تحاول أن تخرج بعض خصيلات شعرها من حجابها حتى أنها لم يكفها مداعبة بشرتها ورموش عينيها بخفه، وليتها فعلت!

دون كل لحظة بينهما وكل حرف قالته له

ودعا الله حينها

دعا الله بأن تكون جزء منه إلى الأبد، دعا الله بأن يكتبها من نصيبه وأن يبعد عنهم ألاعيب القدر.

كتب :

- يا الله -

لقد رزقتني حبها وكفى به رزق بعد رزق حبك أنت فلا تكتبه ابتلاء لي فإني أضعف من أن أبتلي بها...!

هام فى ذكرياته معها ذكرى تلو الأخرى ونسي الألم الذى تملكه طوال الأربع سنوات، نسي تلك الليالى بحرقتها وعذابها بنظرة واحدة منها، تبدلت حياته كما ما بين السماء السابعة والأرض السابعة بنظرة واحدة.

نحن أضعف مما نتخيل

نحن ضعفاء بقلوبنا، تكسرنا لحظة ندم، حزن أو ألم

تتحكم فينا مشاعرنا دون أدنى مقاومة منا ولولا تلك المشاعر لأصبح الإنسان أقوى من الجبال.

بقي آدم على هذه الحالة لساعات، ولكن أمينة كانت فى وادى آخر

أين ذهب عم حسن؟!

لم يعتد التأخر خارج البيت لمثل هذا الوقت، ما الذى يفكر فيه؟!

دار فى خاطرها أسئلة كثيرة ولم تجد لها أجوبة حتى عاد أحمد إلى البيت فطلبت منه بأن يذهب إلى المصنع ليراه هناك أم لا

وبالفعل ذهب و لكنه لم يجده هناك.

ارتبكت أكثر وازداد قلقها وخوفها عليه وذهب أحمد إلى مجموعة من أصدقاء والده ولكنهم أنكروا معرفة مكانه وعاد إلى البيت دون جدوى أيضاً، تأخر الوقت حتى منتصف الليل ولم يأت بعد.

عاد عم حسن إلى البيت عند الفجر وبدا عليه التعب والإرهاق وملابسه متسخة كأنه كان يعبث بالتراب كالأطفال الصغار، اندهشوا جميعاً عندما شاهدوه على هذه الحالة وانتابهم الخوف والقلق عليه.

سألوه أين كان ومن فعل به ذلك؟!

لم يجب عليهم ودخل غرفته دون أن ينطق بكلمة واحدة

دخلت أمينة الغرفة خلفه وأغلقت الباب خلفها، ثم سألته :

* أين كنت يا حسن؟

- كنت أتمشي قليلاً ووقعت على الأرض من التعب.

* لا شيء يستحق كل هذا يا حسن!

قلت لك أكثر من مرة بأن نجيب لن يفعل شيئاً لك ولا إلى آدم حتى، لو كان يريد فعل شيء لفعله منذ سنوات.

لم يرد عليها لتكمل :

لا تخف يا حسن لن يحدث شيء

إن كنت تخفي علي شيئاً فصارحني به وأنا بالتأكيد سأساعدك

فصاح فى وجهها غاضباً :

ماذا أخفي يا أمينة!

قلت لكِ أكثر من مرة بأني لا أخفي عليكِ شيئاً

دعيني أرتاح الأن فأنا متعب.

تركته أمينة ليرتاح قليلاً وهى تعلم جيداً ما يدور فى خاطره وحالة الخوف المسيطرة عليه، ولكنها تساعده بكلماتها على قدر استطاعتها رغم علمها بأن هذا لا يكفي لمساعدته...

ذهب آدم الى الجامعة فى الصباح وقابل روح وأخبرته بأن والدها وافق على عمل أحمد بمكتبه ولكنه يريد أن يقابله أولاً ليرى خبراته فى القانون.

طال الحديث بينهم حتى شعرت روح بالتعب والغثيان وفقدت وعيها

حملها آدم إلى أقرب مستشفى فقد طال فقدانها لوعيها.

وهناك استعادت وعيها ووصل والدها بعد أن اتصلت به إحدى أصدقائها فى الجامعة، وبعد أن علم بأن آدم هو من نقلها إلى المستشفى شكره كثيراً وأخبره بأن روح تحدثت معه عنه وعن أخيه أحمد.

انتظر معها حتى استعادت وعيها وخرجت من المستشفى وقال له والدها أنه ينتظر أحمد غداً فى مكتبه.

رجع آدم الى البيت بعد أن اطمأن عليها وأثناء تناول الغداء كان عم حسن بحال أفضل من البارحة، فتح عدة مواضيع وظل يضحكهم ويداعبهم بخفة ظله كعادته رغم كلامه القليل، ولكن أمينة كانت تعلم جيداً أنه لم يتعافَ بعد من وساوس نجيب وأنه يحاول أن يبعد أحمد وآدم عن ذلك الأمر ليس أكثر من ذلك ولا أقل.

حتى قال آدم لــ أحمد :

أحمد

روح أخبرتني بأن والدها وافق على عملك فى مكتبه وهو ينتظرك غداً فى مكتبه.

فقال له أحمد :

جيد، سأكون هناك فى الموعد ولكن أعطني العنوان.

سمع عم حسن حديثهما فسأل آدم :

* (روح)!

من هى روح؟!

- زميلتي فى الجامعة

والدها يملك مكتب محاماة كبير وأخبرتني بأنها ستتحدث معه بشأن أحمد حتى يستفيد من خبرته ووافق على ذلك الأمر.

* أهى الفتاة التى جاءت إليك بعد خروجك من المستشفى؟

obeikan.com

- نعم هى.

* تلك الفتاة التى لم تمض معك سوى دقائق معدودة وأخرجتك بها من غرفتك وأعادت إليك روحك بعد أن عجزنا نحن على ذلك طوال أربع سنوات؟!

ضحك أحمد، ثم كتم ضحكته بعد أن نظر إليه (آدم) نظرة لوم وغضب، ثم قال آدم :

- نعم هى

ماذا تريد الآن؟

* لا شىء، أشكرها لي فقط.

- من؟

* زميلتك!

أليست زميلتك كما تقول.

لم يستطع أحمد كتم ضحكته حتى أضحك أمينة وعم حسن معه، وظل آدم ينظر إليهم بغضب بعد أن أحرجه عم حسن.

ذهب أحمد فى الموعد المحدد إلى والد روح فى مكتبه

تحدثوا كثيراً فى العمل ليحدد مدى علم أحمد وخبرته فى القانون، وبدأ أحمد يزاول العمل من هذا اليوم معه فى المكتب.

استفاد كثيراً من خبرته و نجح فى جميع القضايا التى وُكلت له وكسب ثقته بنجاحاته المستمرة مع الوقت حتى أتي موعد زواجه.

لم يكن يوماً خاصاً بالنسبة لأحمد وحسناء فقط، بل إلى آدم وروح أيضاً.

بدأ الزفاف برقصة على موسيقي هادئة من النوع الذى يحبها أحمد بعد أن أنتقاها بعناية والجميع ينظرون إليهما بسعادة، ولكن آدم وروح كانوا ينظرون إليهما نظرة مختلفة.

كل منهم كان يري روحه على المسرح هناك بين أضلع الآخر، كل منهم أغمض عينيه وهام فى أحضان الآخر فى ذلك العالم الذى رسموه معاً، فى عالمهم الخاص.

ربما تواجد فى هذا العالم أكثر من حبيب وحبيبة، ربما تواجد الآلاف منهم ولكن لا يوجد سوى آدم وروح فقط، اختارهما القدر بعناية معاً علماً لا عبثاً بأن كل منهما خُلق فى هذا العالم بحثاً عن الآخر.

لا تبحث عن الحب بطَرق قلوب الكثيرين عبثاً، فربما تُرهق قلب أحدهم بك وأنت لست بضعفه مهتماً ولن تكون له طرفاً

سترهق قلبك عبثاً ونصفك الآخر فى المكان والزمان منتظر...!

حول آدم نظراته إلى روح ليجدها هائمة مع الموسيقي، علم فيما تفكر وأين هى الآن، فذهب إليها وأمسك بيدها وجلسوا بعيداً عن أعين الناس كعادتهم فى عالم أخر.

ظل ينظر إلى عينيها

تركته يسرح فيهما ربما يرى كم عانت حتى وجدته، وكم انتظرته فى عالم بأكمله وحيدة، ربما يعلم مقدار حبها له وكيف تعشقه وبأن حياتها وراحتها وقلبها وعقلها ملك له إلى الأبد.

ابتسمت وقالت له :

* ماذا تريد الآن؟

- أريدكِ أنتِ

* أنا لك.

- لا ليس بعد.

*متى إذنً؟

- عندما نقف بالأسود والأبيض معاً هناك مكانهما.

ابتسمت و نظرت إلى الأرض للحظات بخجل، ثم قالت :

انتظر إذنً...

ثم تركته ورحلت

رحلت بعد كلماتها وهو يعلم جيداً بأنها هى من تنتظره وليس هو!

obeikan.com

كان يوماً جميلاً شاهد فيه الرقص والموسيقى والضحكات بين الحضور ومنهم أحمد وحسناء بالتأكيد.

رأى آدم الفرحة بل السعادة الحقيقية على وجه أحمد، لم يره بهذه السعادة منذ فترة طويلة فقد كان حزيناً من أجل آدم، شعر بما يشعر به من ألم وحزن وتأثر بهذا الأمر كثيراً.

علم كم يحبه أحمد وأنه بعد أن علم بأن آدم ليس أخوه لم تتغير معاملته معه بل ازداد اهتمامه به غير آلاف المحاولات لإخراجه من الحالة العصيبة التى كانت تسيطر عليه حتى نجحت محاولته الأخيرة، حتى نجحت روح.

تمنى آدم بأن يحقق حلمه بالزواج من روح

يعلم أن الحب وحده لا يكفى وإنما هناك تحديات صعبة سيقابلها فى الطريق وأكثر ما كان يخشاه هو القدر!

كيف سيتقبل ذلك الأمر؟

ولكن أليس القدر هو من جعلهما يتقابلان فى مكان وزمان محدد؟!

كثير من العلاقات تنتهى بالفشل بعد قصص حب طويلة ولا يكون الحبيبين طرفاً فى أسباب الفراق غير أن النصيب أبي أن يجمعهما معاً فى بيت واحد، ولكن أليس القدر هو من يجمع القلبين فى مكان وزمان محدد؟

إذن كيف ينهيها بتلك البساطة بعد أن يضعف كل قلب بقلب الآخر دون أن ينظف رواسبه وكأن الفوضى تعُم القلوب؟!

جميعنا نؤمن بأن الحب رزق من الله - سبحانه وتعالى – ولكن منا من يستخدم ذلك الرزق بطرق خاطئة سواء كانت بإرادته أو بغير إرادته جهلاً منا بأنه من متع الدنيا ليس أكثر من ذلك، ولكن منا من يأخذ ذلك الرزق ويجعله عالمه وهمه الأول والأخير ويسخر له جوارحه لخدمته

ومن عظمة الخالق أنه سكن قلوبنا بحيث لا نحب مخلوق ولا شهوة فى مثل درجة حبنا له - سبحانه وتعالى -، لذلك يغار الخالق على المخلوق إذا ساوى درجة حبه بشيء آخر ليعذبه به فى الدنيا...!

ومنا من يبتلي به ليقيس الخالق درجة حبنا له وصبرنا ورضانا بالقدر، الابتلاء بالمشاعر هو أشد أنواع الابتلاء حيث إن الإنسان ذلك المخلوق القوى لا يضعفه سوى التلاعب بقلبه، ذلك القلب الذى يسقطه أرضاً دون حراك.

لذلك يكمن هذا الأمر فى درجة الإيمان والقدرة على تحمل الفراق إذا كان ابتلاء، وإن لم يكن ابتلاء يبقي الاستخدام الصحيح أو الخاطئ للرزق هو الحد الفاصل بين الإنسان والقدر...!

ولكن آدم لن يتحمل خيبة أخرى

خيبة والديه أنهكت قلبه حتى أنه إلى هذه اللحظة لايزال يحاول ترميمه ليتسع لحبه، لايزال يحاول طرد مشاعر الخوف والألم والحسرة ليستبدلها بالحب، الحب الذى يأبى بجليس آخر سواه.

انتهى الحفل بعد أن أدخلت تلك المناسبة البهجة و السرور على الجميع ومن بينهم عم حسن فقد جاءت فى وقتها لتخرجه من حالة الخوف والقلق التى سيطرت عليه منذ الرسالة الأولى من نجيب.

رجعوا إلى البيت ولا تزال الفرحة تملأ وجوههم جميعاً، جلسوا معاً ولكن هذه المرة بدون أحمد وقد دار بينهم حديث طويل عن أحمد وحسناء بالتأكيد، كم كان كل منهما أنيقاً وكيف تحدوا الصعاب وصبروا لسنوات حتى استحقا العيش معاً.

ضحكوا كثيراً وفى وسط تلك الضحكات تساقطت دموع أمينة بالتأكيد هى دموع الفرح التى تملأ قلوب الأمهات فى مثل تلك المناسبة.

تركهم آدم بعد أن قضى معهم وقتًا طويلًا يبادلهم الضحكات والحديث ودخل إلى غرفته ليبدل ملابسه، ثم جلس ليدون تلك المناسبة، لم يفت عليه هذا الأمر ولكنه لم يذكر أحمد وحسناء بل سرح فى عالم آخر وبدأ يكتب عن شعوره هو فى تلك اللحظات وإلى أى درجة تمنى بأن يكون هو و روح مكانهما بالأسود والأبيض.

دون الحديث الذى دار بينه وبين روح وبالرغم من صغره إلا أنه كتبه فى صفحات، وصف روح عندما شاهدها هائمة فى الرقصة التى جمعت أحمد وحسناء وبأنه كان يعلم بأنها فى ذلك العالم الذى رسموه معاً تنتظره هناك بفستانها الأبيض لترقص معه على الموسيقي الهادئة، وبأنها كم كانت جذابة كعادتها...

بدا وكأنه يكتب شعراً فيها ونسي تماماً تدوين تلك المناسبة فى دفتر مذكراته بعد أن أخذته الرومانسية إلى مكان بعيد لا يصل اليه أحد سواهما.

دخلت أمينة عليه وهى مبتسمة وتداعبه قائلة :

وأنت يا آدم؟

فهم ما تقصده ليجيبها :

بعد أن أنهي دراستي - إن شاء الله -

أخبرته بأنها تريد مقابلة روح لتتعرف عليها، ولكن آدم رفض فى البداية وبعد إلحاح منها وافق على طلبها وهو متعجب فمن المبكر جداً طلبها هذا.

وبالفعل أخبرها وجاءت معه إلى البيت فى اليوم التالى لمقابلة أمينة، وبعد مجيئها أدخلتها أمينة غرفتها وجلست معها بمفردها بعد أن أخرجت آدم بطريقة طريفة أضحكت روح.

انتظر آدم فى غرفته وهو قلق، لا يعلم لما أرادت أمينة رؤية روح فى هذا الوقت ولكنه انتظر، وازداد قلقه مع مرور الوقت أكثر حتى خرجوا أخيراً من غرفة أمينة.

ذهب آدم مع روح ليوصلها وفى الطريق سألها عما دار بينها وبين أمينة

أخبرته أن الحديث دار على والديها لوقت طويل ثم عليها هي وبأنها كانت تريد أن تتعرف عليها فقط، وأخبرته بأن هذا الأمر طبيعياً جداً لا يستدعي القلق.

جرت الأمور على النحو الذى يريده آدم فقد كانت علاقته بروح فى تطور مستمر ومع الوقت تأكد من حبه لها وبأن هذا الشعور الذى يشعر به نحوها لم يكن مجرد إعجاب، وفى المقابل كان شعوره بالخوف والألم من حقيقة والديه يتسرب من قلبه رويداً ولم يتبق منه غير ذلك الكابوس الذى كان يراوده دائماً ولكنه كان يقل مع الوقت أيضاً.

كان يحلم دائماً أنه مقيد فى ذلك التمثال بسلاسل والنيران تقترب منه ببطء وهو يصرخ ويحاول فك جسده من ذلك التمثال، ولكن دون فائدة حتى تتملكه النيران كلياً ليستسقظ وهو فى حالة مذرية مريرة!

ومن ناحية أخرى كان عم حسن ينتظر رسالة نجيب التالية أو مثلما تمني بأن تكون رسالة وبأن لا تكون رسالته السابقة هى رسالته الأخيرة والقآدم هو ردة فعله التى يخشاها وكأنه يعيش الموت ببطء شديد!

حالته كانت تتدهور مع الوقت والخوف والقلق يظهران على وجهه كالشمس فى أشد أوقاتها ولكن أمينة لم تتركه وظلت بجانبه.

أحمد بدأ حياته الجديدة مع حسناء التى تمناها لسنوات طويلة وشجعته حسناء على نشر رواياته القديمة وبأن يزيح عنها التراب وبالفعل بدأ فى نشر روايته الأولى له وينتظر منها النجاح المبهر.

ومن ناحية أخرى كان عمله فى مكتب والد روح فى تحسن ملحوظ ومستمر واكتسب ثقة والد روح بالكامل وازدادت خبراته مع الوقت وحياته بدأت تتخذ المسار الذى يجب أن يكون.

أما أمينة فقد أصبحت فى مزاجات متقلبة وكأن شيئاً ما يشغل عقلها بالكامل، كثيرًا ما كانت تسرح فى عالم آخر وربما حالة عم حسن السيئة سيطرت عليها وقلقه بشأنه ومن ردة فعل نجيب.

لا تعلم ماذا سيفعل نجيب بأسرتها سواء كان آدم أم عم حسن، ولكنها لم تخبر آدم إلى هذه اللحظة عن تلك الرسائل ومع تدهور حالة عم حسن من شدة الخوف والقلق كانت تخشي من أن يخبر آدم كما أخبره بحقيقة والديه ومن الرسالة الأولى ليعود آدم إلى حالته السابقة ولكن هذه المرة لا روح ولا غيرها سيقدر على مساعدته حينها.

غير أن آدم لاحظ اهتمامها الزائد بروح على عكس ما كانت تفعل مع حسناء، ولكنه كان يتفهم هذا الاهتمام بأنها خائفة عليه من أن تكون روح صدمة وخيبة جديدة له.

ظلت الأمور تسير على هذا النحو إلى أن تخرج آدم وروح من الجامعة بعد أن نضج حبهما وعاش كل منهما فى قلب الآخر طوال هذه السنوات.

عمل آدم بعد تخرجه فى مستشفى حكومية ليكتسب الخبرة اللازمة حتى يقدر على فتح عيادته الخاصة، وفى مجال عمله دخل عالم آخر، عالم العلم النفسي ذلك العلم الذى يجهله الكثيرون.

يجهل كثير من البشر أن بداخل كل منا مرض نفسي متخفى بين تصرفاتنا وشخصيتنا، جميعنا نحب ونكره وندخل فى دائرة الحزن التى تؤدى بنا فى أوقات كثيرة إلى الاكتئاب ولكن بنسب متفاوته، فقط من يشتم الناس رائحة مرضه هو من يدخل فى دائرة المرضي النفسيين.

لذلك نجد أنفسنا نخفى ذلك المرض خوفاً من ذلك العالم الضرير إلى أن يصل بنا المرض لذروته!

هناك خيط رفيع جداً بين الشهوة و المرض النفسي، إذا قُطع هذا الخيط تصبح مرض نفسي خطير يراود الإنسان حتى فى منامه ولا يقتصر المرض النفسي على الهلاوس وغيرها التى تُخلق بفعل البيئة المحيطة وعقل الشخص نفسه فلا يوجد إنسان مخلوق بمرض نفسي.

لذلك تصنع البيئة المرض المناسب له!

رفقاً بالمرضي النفسيين فنحن من زرعنا المرض بأنواعه المختلفه بداخلهم ولكنهم وحدهم من يحصدون آلامه وأوجاعه، رفقاً بهم فنحن من نهمل ونكره ونخون، رفقاً بهم فنحن أسباب ابتلائاتهم!

أنهي آدم عمله اليوم وذهب مسرعاً إلى ذلك المكان على ذلك المقعد منتظراً روح، لم يستطع نسيان أول لقاء بينهما فى هذا المكان ففى كل مرة يجلس فى انتظارها يتذكر اللقاء الأول خصيصاً بتفاصيله ويضحك للحظات أخرى تلمع عينيه، كلماتها له فى ذلك اليوم أعطته جرأة وقوة على مواصلة حياته وعدم الاستسلام لها، كما أنه علم مدى رومانسيتها بسحر كلماتها.

آدم يتمتع بنفس درجة رومانسيتها ولكنه لا يستطيع البوح بها فقط تخرج تلك الرومانسية عندما يلامس قلمه الورق ومع ذلك يحاول بأن يسمعها تلك الكلمات ليشبعها بها.

روح عاقلة جداً وعلمت هذا الأمر بسرعة، علمت بأن آدم يحب بكبرياء وهدوء دون أن يُسمع أحد قلبه .

وصلت روح اخيراً

دار بينهم حديث طويل وحوارات كثيرة عن عمل آدم وغيره حتى قال آدم لها :

روح

لا أقدر على الانتظار أكثر من ذلك

الآن قد تخرجت من الجامعة وعملت لذلك سأذهب الى والدك وأخبره بأني أريدك لي، أريدك زوجة لي...

لم ير على وجهها أى علامة من علامات الفرحة و لا أثر المفاجأة عليها، بل كانت كالليل الهادئ حتى أنها نظرت إلى النيل وهامت به ولم ترد عليه دون أن يعلم السبب!

ساد الصمت بينهم للحظات ودار فى خاطر آدم ألف سبب وسبب لصمتها وردة فعلها تلك

obeikan.com

ربما شعرت بأنه لم يكن ذلك الفارس الذى انتظرته طيلة حياتها، وربما لم تتحمل حقيقة والديه وترى بأن والدها لن يوافق على زواجهما بسبب هذا الأمر

ولكنه كـذب كل هذه الهلاوس وسألها بصوت مكسور حزين قائلاً :

ما بكِ؟

لماذا أنتِ صامته هكذا؟!

لم ترد عليه وظلت تنظر إلى النيل حتى أحمر وجهها ولم تستطع حبس دموعها

ازداد قلق آدم وخوفه، لا يعلم ما بها؟!

مسح دموعها بيده وأعاد عليها سؤاله لتسأله هى سؤال أخر بصوت حزين :

ماذا لو فعل النصيب فعلته بنا؟

ابتسم آدم وأخذ نفساً طويلاً بعد أن تذكر إجابتها عندما سألها هذا السؤال فى لقائهما الأول، ثم قال لها :

سأفقد ذاكرتي وأبدأ من جديد....!

ابتسمت ونظرت إلى النيل مجدداً وهى تقول :

وإن لم تجدني جالسة أمامك حينها؟

ليرد عليها آدم بسرعة بعد أن أمسك يدها قائلاً :

سأبحث عنكِ فى عيون البشر لعل أحدهم آثر نظرة منكِ

سأفقد صورتكِ، ضحكتكِ وصوتكِ ولكن روحكِ ستظل من بين أضلعي وستدُلني عليكِ من بيم ملايين البشر كرائحة العطر المميز..

ولكن أخبريني ما بكِ؟

فقالت له :

منذ شهر تقريباً أخبرني والدي بأن أقطع صداقتي بك وبدا منزعجاً من ذلك الأمر ولا أعلم السبب!

فأخبرها بأنه ربما علم بحقيقة والديه، وربما تأخر على أن يتقدم لخطبتها أكثر من اللازم.

وبأنه سيذهب إليه غداً ويتحدث معه...

رجع آدم الى البيت وهو يترقب الوقت حتى يذهب إلى والد روح ويدور فى خاطره أشياء كثيرة، أحقاً علم بحقيقة والديه؟!

ولكن هل هذا سبب ليرفضه زوجًا لابنته؟

ربما حقاً يكون سبباً مقنعاً للرفض، مثل هذه المواقف يختلف نظرة الناس فمنهم من يتقبل الأمر ومنهم من لا يتقبله، ولكن ما ذنبه هو؟!

و إن كان قد علم بالفعل فمن أخبره؟!

بالتأكيد روح لم تخبره ولا يعتقد بأن أحمد سيخبره شيء كهذا ولكن من؟!

من حين إلى آخر كان يقنع نفسه بأن هذا الأمر ليس السبب الحقيقى وبالتأكيد هو لم يعلم شيئاً، وربما الفارق الكبير فى المعيشة هو السبب وربما لم يتقبله من الأساس، ولكن التعامل بينهم كان جيداً إلى درجة كبيرة مع أنه كان قليل وقد ساهم عمل أحمد فى مكتبه بدرجة كبيرة.

تردد فى إخبار أمينة وعم حسن وحتى أحمد وانتظر حتى يرى ردة فعله وبدأ الخوف يتسلل إلى قلبه مجدداً ببطء بعد أن ظن أنه خرج من حالته تلك بالكامل.

كان يخشي من أن تكون روح هى السبب الرئيس فى عودته إلى عالمه الباهت ومن أن يفقد لذة الحياة مجدداً بعد أن كانت السبب فى خروجه منها ومن اللحظة الأولى.

لا يعلم ماذا سيفعل لو رفض والدها طلب زواجهما ووقف فى طريقهما بعقبة هى الأقوى، ماذا سيرفض؟!

مستحيل أن يتقبل آدم بذلك الرفض، لن يتقبل بأن يحرم من روح إلى الأبد وبأن تكون هى الخيبة التى تعصف بكل حلم وأمل له فى الحياة.

مستحيل أن يتقبل الخروج من العالم الذى رسموه سوياً ليعود إلى هذا العالم الضرير، عالم لا يوجد به روح هو عالم ضرير مميت، مجرد وقت وسيصبح فى عداد الموتي بالتأكيد!

أتي الموعد بعد أن أنهك عقله وجسده حتى أنه ظل مستيقظاً ولم يستطع النوم، ذهب الى المكتب وهناك التقي بـ أحمد أولاً وتعجب أحمد من مجيئه ولكنه دخل إلى والد روح دون أن يخبره سبب مجيئه.

وبعد أن رحب به والد روح بدأ آدم بالحديث ولم يكمل جملة واحدة حتى قاطعه قائلاً :

اسمعني جيداً يا آدم

أعلم سبب مجيئك، ولكني أرفض طلبك لأسباب خاصة ولا يمكن أن أغير رأيي مهما حدث.

أعلم أنك تحبها ولكن الحب ليس كل شئ يا آدم

إعـــذرنـــي....!

حاول آدم إقناعه ولكن دون جدوى ليعود بخيبة أمل جديدة أقوى من سابقتها بأضعاف.

ذهب إلى ذلك المكان على النيل وهو لا يعلم كيف وصل إلى هناك محطم القلب حتى شعر بروح جالسة بجانبه.

* كنت أعلم بأني سأجدك هنا

أحمد اتصل بي وأخبرني بأنك كنت عند والدي ولم يرك وأنت خارج، ما بك؟

لم يرد عليها وبدا عليه التعب والحزن لتكمل :

نحن لا نحتاج إلى موافقته، لدينا عالمنا الخاص لنجعله حقيقة إذاً ، أخبرتك بأني ملك لك ولن أكون لغيرك، أنا أملك مبلغًا لا بأس به من المال وأنت تملك بيت والديك بعد أن كتبه عم حسن باسمك سنبيعه ونرحل إلى أى مكان آخر ونبدأ حياتنا معاً.

بعد أن سمع آدم كلماتها بكى وقال لها بصوت باهت حزين وهو ينظر الى النيل :

كنت أعلم بأني لا أنتمى إلى هذا العالم من البداية، كنت أعلم بأن كل هذا لم يكن سوى خيبة جديدة يحضرها لي القدر بهدوء مميت.

ماذا تريدين يا روح؟!

أن تكونى مثل أمي

اذهبي يا روح وأتركيني لقد فعل النصيب فعلته بنا!

وتركها جالسة على المقعد فى مكانها ورحل

تركها وحيدة بعد أن أيقن أن والدها لن يغير رأيه مهما حدث ليعود إلى العالم الذى ينتمى إليه بإستسلام تام....

رحل ولا يعلم إلى أين يذهب بعد أن خسر وطنه، ظل يسير فى الشوارع والحوارى وينظر فى عيون البشر ويرى صورتها فى أعينهم جميعاً حتى تعب وما عادت قدماه يقويان على السير أكثر فرجع إلى البيت ودخل غرفته دون أن يتحدث أو يراه أحد.

جلس على مكتبه وأمسك بدفتر مذكراته وكتب :

انا آدم

أنا من هَربتُ من العدم الى هذا العالم

أنا آدم

أنا السجين الهارب، أعيدوني إلى سجني، أعيدوني إلى موطني

لا أريد العودة إلى هذا العالم فأنا منبوذ هناك

أنا آدم

أنا السجين الهارب

أنا من كُتب عليه الموت مهما طال الزمن ؛ ومع ذلك أموت كل لحظة مائة مرة

أنا آدم

أنا السجين الهارب

أعيدوني إلى سجني، أعيدوني إلى موطني

استيقظت أمينة في الصباح ولم تجد آدم في غرفته

الوقت مبكر على موعد عمله فاتصلت على أحمد ولكنه لا يعلم عنه شيئاً أيضاً وأخبرها أنه أتي إلى المكتب إلى والد روح ولكنه لم يره أثناء خروجه.

قلقت أمينة عليه أكثر، غير أن هاتفه مغلق، وقبل غروب الشمس طرق الباب فأسرعت أمينة إلى الباب ولكنها لم تجد آدم، بل كانت روح!

سألت روح عن آدم وأخبرتها أمينة بأنها لا تعرف عنه شيئاً منذ البارحة وسألتها الأخيرة عما دار بين آدم ووالدها فأخبرتها :

ذهب آدم إلى والدي فى المكتب ليطلب منه يدي ويأخذ موافقته على الزواج مني ولكن والدي رفض و لا أعلم سبب رفضه ولم يخبرني حتى الآن ولم يخبر آدم أيضاً.

ولا أعلم إن كان قد علم بحقيقة والدي آدم أم لا، ولكني لم أخبره وسألت أحمد وأخبرني بأنه لم يخبره بالتأكيد، غير أنه كان يعامل آدم بصورة جيدة جداً إلا أن أمرني منذ شهر تقريباً بأن أمتنع عن الحديث معه ولم يخبرني السبب

أنا لا أفهم شيئاً...!

صمتت أمينة للحظات، ثم سألتها :

وماذا قال لكِ آدم؟

فأجابتها :

آدم استسلم واكتفي بهذه المحاولة وطلب مني أن أبتعد عنه وأنساه...!

أومأت أمينة برأسها كأنها كانت تعلم ردة فعلته، ثم قالت لها :

أعذريه يا روح

أنا أعلم ما يفكر به آدم الآن، وأعلم أيضاً بأنه سيبتعد عنكِ و إلى الأبد

أنا لا أعلم أين هو الآن ولكني أعرفه جيداً لقد أحبكِ كثيراً ولن يمر هذا الأمر عليه مرور الكرام، سيعاني ويتألم حتى يعود ولن يعود كما كان أبداً، هذا ما كنت أخشاه...

اسمعيني جيداً يا روح

لا أعلم سبب رفض والدك، ولكن بالتأكيد هو يعلم أن آدم ليس الشخص المناسب لكِ، هو يبحث عن راحتكِ فأنت ابنته الوحيدة لذلك اسمعي كلامه وانسي آدم فهو لم يعد ملك لكِ من اليوم.

كلماتها كانت غريبة وقاسية لـ روح وكأنها كانت تعلم بأن والدها سيرفض آدم من البداية.

هدؤها وهى تتحدث يدل على ذلك

لم تدرى روح ماذا تقول لها غير أنها بكت، ظهرت أنوثتها وضعفها فى هذه اللحظات ورحلت بعد أن فقدت آخر أمل لها...!

خـيـبــة أمل

لو عشت عمرك كله تنتظر ساعة صفاء لتجد نفسك في زمن منسي كله أسى، لو اكتفيت بتوجيه نبضات قلبك صوب شخص واحد

فقط وعندما تمعن النظر به تجده شخصاً بلا ماضٍ، و لاحاضر، ولا مستقبل، بلا إرادة وإن كانت نبضاتك تحييه...!

خـيـبــة أمل

عندما نستلقى على قمة جبل ونتأمل النجوم والقمر بتمعن وذهول ونسرق منها بعض من الأمل والحب والوفاء، وعندما نعود إلى الأسفل لا نرى إلا الظلام.

عندما تخلق عالم آخر فى مخيلتك مع نصفك الثاني، وتكتمل ملامح وحدود هذا العالم تجد نفسك وحيداً به بنصف قلب ونصف عقل، نصف إنسان...!

وصل عم حسن إلى البيت

وجد أمينة جالسة فجلس بجوارها وأعطى لها ظرف

فتحته لتجد الرسالة الثالثة من نجيب!

(صديقي

لقد تركت لك ما لك وما عليك وسأجعل ضلعك أقوى منكَ ؛ أقوى بكثير حتى أنك لن تستطيع تحمل آلامه.

عود الثقاب سينطفئ قريباً...!)

بعد أن قرأت الرسالة سألته :

ما هذا، أنا لا أفهم شيئاً!

ما الذى تركه لك، وما الذى عليك، وماذا يقصد بأنكَ لن تستطيع تحمل ألمه؟!

فقال لها :

أنا لا أفهم شيئاً، لا أفهم غير أن عود الثقاب سينطفئ قريباً.

لقد حان موعد انتقامه يا أمينة

ردت عليه قائلة :

أنا لم أر آدم من البارحة يا حسن وهاتفه مغلق

صحيح، لقد ذهب إلى والد روح فى مكتبه ليخبره بطلبه في الزواج من روح ولكنه رفض.

لا أعلم أين هو الآن أخشى من أن يؤذى نفسه...

قاطع كلامها قائلاً :

أو ربما قتله نجيب...!

صدمت أمينة بكلماته تلك وطريقة حديثه

قالها وهو هادئ، بارد الأعصاب، كأنه استسلم استسلام تام لنجيب، غضبت منه لقوله تلك الكلمات لتتركه ودخلت غرفتها وهى تترقب وصول آدم وتدعو الله بأن يكون بخير.

بقى عم حسن بمكانه وهو ينظر إلى كلمات الرسالة ويحاول تفسيرها ولا يعلم أحد ما يدور فى خاطره ولا يظهر عليه غير الخوف والندم.

وصل أحمد إلى البيت ليطمئن على آدم لتخبره أمينة بأنه لم يصل حتى الآن فازداد قلقه ولم يعرف أين يبحث عنه وهو لا يملك أصدقاء أو مكان معين ليذهب اليه، لذلك لم يكن في وسعه أكثر من أن ينتظر.

تأخر الوقت حتى منتصف الليل ولم يصل آدم حتى هذه اللحظة وازداد القلق أكثر حتى رن الهاتف ليسرع أحمد في الرد.

تغيرت ملامح وجهه وظهرت عليه ملامح كارثة حدثت وما إن أغلق الخط حتى أخبرهم بأن المصنع يحترق ولا يعلم أحد سبب الحريق وجرى إلى الباب ليذهب إلى المصنع ليرى ما حدث له، ولكنه تفاجئ بردة فعل والده، فقد ظل جالساً مكانه ولم يظهر عليه أى شىء.

كان هادئاً وينظر إلى الأرض ويضع يديه على خده...

عاد أحمد إليه وقال له :

أبي

المصنع يحترق، ألم تسمعني؟!

ليرد عليه بهدوء غريب :

اذهب أنتَ وأخبرني بما حدث!

obeikan.com

ذهب أحمد وهو مندهش من ردة فعل والده الهادئة، وعندما عاد إلى البيت أخبره بأنهم سيطروا على النيران قبل أن تنتشر فى المصنع بأكمله، ولكن النيران أتلفت نصف المصنع.

ظل عم حسن على حاله، لم يرد عليه لتزداد دهشة أحمد أكثر حتى سأله :

أتعلم من فعل ذلك يا أبي؟

فأجابه بهدوء :

أنه نجيب والد آدم

وقبل أن تسألني نعم نجيب ما زال على قيد الحياة

لم أره ولكنه أرسل لي أكثر من رسالة يهددني بها لأنني اهتممت بـ آدم وأخفيته عنه طوال تلك السنوات.

صدم أحمد بما سمعه من أبيه، أسئلة كثيره كانت تدور فى خاطره ولكن حالة والده لم تسمح بطرحها فى ذلك الوقت.

طلبت أمينة من أحمد عدم إخبار آدم بأن والده لايزال على قيد الحياة حتى لا يعود إلى حالته السابقة ويكفيه حرمانه من روح الآن.

و أثناء حديثهما عاد آدم إلى البيت ليستقبل لوم أحمد وأمينة على اختفائه الغير مبرر دون أن يعلم أحد بمكانه، ولكنه عاد بحالة غير متوقع فى مثل تلك الظروف التى يمر بها، فقد كان مبتسماً ويداعبهم

بحديثه فاطمأن أحمد عليه، ولكن أمينة كانت حالته تلك تخيفها أكثر عليه!

علمت بأن هناك مجازر بداخله الآن ويخفيها عن الجميع.

أخبره أحمد بأن المصنع نشب به حريق ولكن لم يُتلف بالكامل وأن سبب الحريق هو خلل فى الكهرباء هناك أدى إلى ذلك.

لاحظ آدم عم حسن ينظر إليه نظرة غريبة عليه وهو يسأله :

أين كنت يا أآدم؟!

ليخبره بأنه كان فى مزاج سيء وكان يتمشى قليلاً مع زملائه فى العمل.

ظل ينظر إليه تلك النظرة حتى نهض من مكانه ودخل غرفته دون أن يرد عليه بكلمة واحدة، ورحل أحمد إلى بيته فقد كانت ابنته (روان) التى تملك من العمر سنتين ونصف متعبة قليلاً.

دخل آدم إلى غرفته لتتبعه أمينة لتجده يشعل سيجارة مع فنجان قهوته، هى المرة الأولى التى تراه يدخن بها، سألته :

منذ متى وأنت تدخن؟!

آدم ليس لك نصيب مع روح و لا تحمل نفسك فوق طاقتك وستتعرف على غيرها، وتحب مرة ثانية وثالثة

صدقني...

ولكنه تجاهل كل هذا قائلاً :

غداً سأبدأ بالبحث عن مكان لأفتح عيادتي الخاصة، وقررت أيضاً أن أكمل دراستي و أحضر الماجستير.

لم تُعقب أمينة على تجاهله لكلماتها وشجعته على ما قاله وتركته وذهبت إلى غرفتها لتستريح قليلاً بعد هذا اليوم المرهق.

لقد خسر آدم روح ولكنه لم يخسر كلماتها وتفاؤلها وقوتها فى مواجهة الصعاب، لذلك قرر بألا يستسلم لخيبته وبأن يزاول عمله ودخل فى معركة حقيقية مع الدنيا وقرر بأن يخرج منها منتصراً.

أما روح فقد فقدت روحها بعد أن وقف القدر فى طريقها وضعفت وهى لا تعلم أتعاتب آدم على خذلانها من أول عقبة فى طريقهما أم تعذره لما علم عن والديه وبأنه يخشى من أن تتكرر حياة والديه معهما، غير أنها تعلم جيدًا أن والدها لا يغير قرار اتخذه مهما حدث.

دراستها لعلم النفس أفاد آدم كثيراً فقد حللت شخصيته وحياته وأعطت له ألف عذر وعذر ليحصنه من مشاعر الكره التى كانت ستحيطه من جانبها.

مهم جداً أن تنتهى العلاقات ولايزال الحب ينبض بين الأضلع دون أن يختلط به شيء يعكره مثل الندم والكره بالرغم من عذابه..!

ومهم أيضاً أن تكون النهايات كالبدايات وبألا نندم أبداً على قصة حب عشناها مهما كانت نهايتها فبالتأكيد هناك الكثير ممن يبحثون

عن الحب لمجرد الشعور بذلك الإحساس الرائع ولو كانت للحظات معدودة ولم يرزقوا به بعد...

مر الآن اكثر من شهر ونصف على فتح عيادة آدم الخاصة

مر عليه أكثر من مريض خلال هذه الفترة وكالعادة تكون فكرة الطبيب النفسى لا تُطرح إلى عندما يصل المرض لذروته وللدرجة التى لا يتحملها المحيطين بالمريض، لذلك جميع الحالات التى ترددت عليه أخذت وقتًا فى العلاج واستمرت معه وسوف تستمر إلى وقت غير معلوم.

آدم الآن فى العيادة وقد انتهى من جلساته واستعد للرحيل ولكن الممرضة أخبرته بوجود حالة جديدة بالخارج.

دخل المريض وبدا عليه علامات التوتر والاضطراب والقلق، غير أنه صغير السن على زيارة ذلك المكان.

طلب منه آدم أن يجلس على المقعد المخصص له وبدأ سؤاله باسمه وعمره؟

ليجيب :

اسمي (عمر عبد الرحمن)، وعمري تسعة عشر عاماً.

- حسناً، أنا أسمعك...

بدأ عمر يسرد قصته قائلاً :

* كل ما فى الأمر أنني لا أشعر بشيء

لا أعرف معنى الفرح ولا الحزن حتى، لا الندم ولا الحب، أشعر بأني وحيد في هذا العالم، أشعر بأن هذا الكوكب بأسره لا يوجد به مخلوق سواي.

عالمي بسيط جداً ولكنه كل ما أملك

يقتصر على فنجان قهوتي وسجائري والموسيقي الهادئة وبعض الكتب والروايات لا أكثر من ذلك، لا أشعر بالحياة إلا فى غرفتي بعد أن أطفئ الأنوار ولا أبقي منها غير ضوء خافتاً لأرى دخان سجائري وهو يرتفع أمام عيني وأشكله بأصبعي ببطء وأمامي فنجان قهوتي وأنا أستمع إلى الموسيقي.

كثيراً ما كنت أسرح فى عالم أخر، فى عالم أتقمص خلاله دور شخصيات مختلفة مرة أتقمص دور رجل الأعمال الغني، ومرة ممثل مشهور، ومرة مطرب وغيرهم، وفى كل مرة أتقمص فيها الشخصية بالتفاصيل وأظل على هذه الحالة لساعات حتى أستيقظ على عالم ضرير مُمل لا يوجد به غير ما لا أريد.

قاطعه آدم ليسأله :

- وماذا تريد؟

صمت عمر لفترة قاربت الدقيقة حتى قال :

* لا أعلم ماذا أريد!

أحياناً أشعر بشيء ما ينقصني، ربما ينقصني أن أعيش، أن أشعر بكل شيء حولي، ربما ينقصني أنا!

تساقطت دموعه وهو يتحدث وبدى وكأنه لم يشعر بأنه يبكي فلم يبدو عليه أثر البكاء ولم تتغير ملامحه ليقطع آدم كلامه مجدداً ويقول :

- ما الذى تشعر به الآن؟

كانت إجابته هى اللاشىء، ليكمل آدم :

- أنت تبكي الآن يا عمر، ما الذى يُبكيك؟

بالتأكيد أنت تشعر بشىء ما بداخلك جعلك تبكى إحساس مثل الندم، أو الحزن أو الألم.

لا يوجد إنسان لا يشعر وحتى إحساسك بالفراغ الذى يتملكك الآن هو شعور أيضاً.

منذ متى وأنت على هذه الحالة يا عمر؟

ليجيب عمر بعد تردد :

* منذ فترة كبيرة و لا يوجد سبب لتلك الحالة

لم أتعرض لصدمات ولا مشاكل مع أحد قط، وأتجنب كل هذا على قدر الإمكان.

- وأين والديك من حالتك تلك؟

* أبي وأمي منفصلين منذ ثلاثة سنوات

أنا الآن أعيش مع أبي، هو ضابط وبحكم عمله لا أراه كثيراً لذلك أقضي معظم الوقت بمفردي، أما والدتي فتعمل محاسبة فى أحد البنوك ولا أراها سوى يوم واحد فى الأسبوع فى يوم عطلتها.

الخلافات بينهم كانت كثيرة و هذا الأمر أثر على شخصيتي بالتأكيد ولكن على عكس العادة هذا الوضع يشعرني بالراحة الآن..!

- كيف يشعرك بالراحة؟!

* لا يوجد مشاكل الآن.

لم يتعجب آدم من إجابته، سأله :

- ألم تشعر بالحب اتجاة فتاة من قبل يا عمر؟

* بلى أحببت فتاة منذ سنتين كانت معي فى المدرسة الثانوية ولكن...

قاطعه آدم قائلاً :

- ولكن لم تصارحها بحبك خوفاً من أن تكون لا تبادلك نفس الشعور، وبالطبع لا تملك أصدقاء يا عمر صحيح؟

تعجب منه عمر بعد أن شعر بأنه اصبح كتاب مفتوح أمامه ليجيبه :

* نعم لا أملك أصدقاء.

- أتعلم أين أنت الآن يا عمر؟!

obeikan.com

أنت فى عيادة طبيب نفسى لذلك أخبرني بالسبب الحقيقى الذى جعلك تُقدم على زيارة هذا المكان وترددت.

صمت عمر ولم يدرى ما يقول له وبدى عليه التوتر أكثر حتى أنكر إخفاءه لشىء.

فأمسك آدم بزمام الحديث قائلاً :

حسناً، إن هذا سبب مجيئك كما تقول...

اسمع يا عمر

أنت لست مريض بالإكتئاب، بل مريض بعبودية العادة وعادتك هى الكسل والاستسلام.

أنت لك قدرة كبيرة على الإقناع حتى أنك أقنعت نفسك بأن عالمك هذا هو العالم المنطقى والذى يجب أن يشترك معك به جميع البشر رغم علمك بأنك مخطئ تماماً من داخلك.

هو ليس مرض نادر، بل معظم من فى مثل عمرك وأكبر منك بسنوات قليلة مرضى بهذا المرض، حتى زملائك الذين تراهم يملكون عددًا كبيرًا من الأصدقاء ويمرحون دائماً فغالباً لا يكون هذا إلا تفريغ لشحنة الملل والخمول العقلى والجسدى أيضاً دون أدنى عاطفة اتجاههم.

إن تشعر بالراحة فهذا شعور كاذب تقنع به نفسك لتبقى عالمك هذا ولا تواجه الحياة، أنت تخشى الحياة وتتجنب كل صراع وتحدى بها وإن كان مع نفسك بدليل أنك قاربت سن العشرين دون أن تملك

obeikan.com

أى هدف، وأعلم على حد وصفك أنك لم تدخل فى أى علاقة إلى الآن ليس خوفاً من أى شىء غير الفشل.

حالتك لا تحتاج إلى طبيب نفسى يا عمر

لا يمكن الخروج منها إلا اذا خرجت من غرفتك وواجهت العالم، العالم الذى يجب أن تعيش فيه، هذا العالم المقتظ بالبشر والصراعات والعلاقات وليس الذى صنعته أنت.

عالمك هذا جبان

اخرج منه وواجه الناس، اخطأ وصحح خطأك وتعامل مع من حولك واعرف عيوبهم ومميزاتهم، احلم وحقق حلمك ولا تخش الفشل.

جلستك انتهت، أرجو أن تعمل بنصيحتي لك وسأتابعك، ولكن قم بما يجب عليك فعله واعلم أنك قادر على فعل ذلك وحدك ودعني أراك فى أقرب وقت.

رحل عمر بعد أن جذبه آدم بكلماته وانتظر آدم جلسته الثانية بفارغ الصبر، شىء ما بداخله يخبره بأنه يخفى عنه شىء ما.!

شىء أوصله لتلك الحالة وعصف بقلبه وبعالمه بالكامل، غير أن حالته جذبته بقوة فقد ذكره بحالته عندما علم بحقيقة والديه فقد كان يصغره بسنتين حينها.

هذه الحالة فى مثل هذا العمر كفيلة بهدم حياة الإنسان كلياً ويشمل هذا الهدم مستقبله ايضاً بعد أن تترك أثارها على شخصيته بقوة.

رحل آدم من العيادة وأثناء عودته إلى البيت مَر على هذا المقعد الذى عاش معه قصة حبه الأولى والأخيرة، أوقف سيارته وظل بها وهو ينظر إليه لدقائق ولم يشعر بنفسه وهو ينزل من السيارة ويتجه إلى هذا المقعد.

جلس عليه وسرح فى عينيها كأنها جالسة بجانبه تماماً

دائماً ما يشعر بشىء ما فى جسده حين تتردد بقوة على ذاكرته ويفكر بها، شىء قوى يفقده قوته وتركيزه ليصبح أضعف من أى شىء فى هذا العالم، يشعر وكأن قلبه يتسرب منه الدماء بحيث تسلك طرق أخرى غير الشرايين لتروى جسده بالكامل بيديها، صوتها وتلك العينين التى أوقعت به أرضاً دون حراك..!

يشعر بظلام يتملك عينيه لسنوات طويلة ثم تأتي هي من بعيد بضوء لا يتحمله عيني بشر وتداعب بشرته ولحيته بيديها وتأخذه إلى عالمهما الخاص...!

همس بصوت عالٍ قليلاً دون أن يشعر :

أين أنتِ الآن يا روح؟!

ليسمع صوت قريب منه يقول :

كانت هنا وغادرت قبل مجيئك بخمس دقائق.

لينظر خلفه ليفاجئ برجل عجوز ملامحه مألوفة له، إنه بائع الورد الذى اعتاد أن يجلس بالقرب من ذلك المقعد وقد اشترى منه آدم الورود لـ روح أكثر من مرة.

سأله آدم :

من هي؟!

فأجابه :

تلك المرأة التى كانت تأتي معك دائماً.

تعجب آدم من ذلك العجوز فمئات البشر يجلسون على ذلك المقعد يومياً، كيف يذكرهما خصيصاً؟!

سأله بتلقائية وهو لايزال متعجب منه :

وكيف تتذكرها؟!

فقال له العجوز :

وكيف أنساها وأنا أراها كل يوم!

منذ أول يوم اشتريت مني الورد وأعطيته لها كانت تأتي كل يوم إلى هذا المكان وتجلس على هذا المقعد خصيصاً لفترة، ثم تشترى الورد مني وترحل، وفى الأيام التى كنتم تأتون معاً وتنسى أنت أن تشترى لها الورد كانت تعود إلي بعد ذهابكما بدقائق قليلة تشترى مني الورد وترحل

وهى على هذا الحال كل يوم منذ سنوات إلى اليوم، ولكنى لم أراكما معاً منذ فترة...!

لم يتعجب آدم من كلمات العجوز فهو يعلم جيداً قدر حب روح له ولكن كلماته أضافت إلى آلامه وأحزانه لفقدانها العجز، شعر بأنه عاجز أمام ضعف أنوثتها، تمنى لو أنها تكرهه لترحم قلبها من ذلك العذاب المميت الذى يعايشه فى كل لحظة ومن اللحظة الأولى من الفراق.

لم يستطع تحمل كلمات العجوز فمشى إلى سيارته ببطء وهو حزين، مكسور، عاجز والعجوز يناديه ويقول :

ألن تشترى لها الورد؟!

دائماً ما تكون بعد الخيبات لحظات قاسية مدوية ينفصل بها الجسد عن الروح، نشعر وكأن أجسادنا تلوم ساكنيها بعد أن يتسرب العذاب اليها من شدته وتحدثها بقسوة وقوة وتعنفها وتقول لها كفى، كفى لا أستطيع تحمل المزيد من الخيبات!

لا أريد الحب، السعادة، الحزن، الندم، لا أريد أى شىء ودعينا نركض فى هذا العالم بسلام، لو أن الأمر بيدي ما تركت العدم من أجل عالم مُرهق ملئ بالصراعات والآلام...!

عاد آدم إلى البيت

جلس مع عم حسن وهو يترقب نظراته من حين إلى آخر، شعر بأن هناك شىء ما يخفيه عنه، نظراته وصمته الدائم، كل شىء به أصبح غريباً

سأله :

ما بك؟

ليجيبه بسؤال آخر :

أين كنت يا آدم؟

أين كنت عندما احترق المصنع؟!!

تعجب آدم من سؤاله فقد سأله هذا السؤال أكثر من مرة وفى كل مرة يخبره بأنه كان مع زملائه فى العمل ليتركه ويدخل غرفته دون أن ينطق بكلمة، ولكن هذه المرة سأله هذا السؤال أكثر من مرة ولم تختلف إجابته فى كل مرة حتى نادت أمينة على آدم من بعيد وأخبرته بأنه كان قلقاً عليه فى هذا اليوم وبأن لا يكرر تلك الفعلة مرة أخرى، لم يعلم آدم سبب قلقه عليه وتكرار هذا السؤال عليه مع مضى أكثر من شهر ونصف على هذا اليوم!

ثم دخل غرفته.

جلست أمينة بجانب عم حسن، ثم قالت له :

لماذا تكرر سؤالك هذا على آدم؟!

ليقول لها :

لا، لا أشك بأنه هو من أحرق المصنع يا أمينة

لا تقلقي فأنا لم أفقد عقلي بعد، غير أن آدم يخشى النيران.

صمتت أمينة وهى تنظر إليه بعينيين واسعتين مصدومة من كلماته، ثم قالت له :

أنا لم أقل ذلك يا حسن! !

وغير أن آدم يخشى النيران، هو لا يعلم شيئاً عن الرسائل التى تصلك من والده ولو علم لما رأيته على هذه الحالة الآن ولأصبح شخصاً اخر.

كلمات العجوز بائع الورد تركت أثراً قوياً داخل آدم، يشعر الآن بالندم وفكر فى أن يحاول مرة أخرى مع والدها ولكن شيئاً ما يخبره بأنه مهما حاول لن يغير رأيه.

لم يشعر بالندم لأنه ابتعد عنها، بل لأنه اقترب منها!

ولأنه أقحمها معه فى عالمه المظلم الباهت بعد أن جعلها تحلم بعالم آخر ونسى أنه إنسان سُلب منه حق الحلم والحب وحتى العيش بسلام...

روح لا زالت سجينة فى العالم الذى حلمت به ورسمته مع آدم

تخشى الخروج منه ويعذبها البقاء به وحيدة، لم تكره آدم ولم تندم على حبها له قط، ولكنها تُشفق عليه...!

ذهب آدم إلى عيادته فى اليوم التالى لتأتى إليه حالة جديدة، سألها عن اسمها وعمرها أولاً ليظهر عليها الخوف والتردد، طمأنها بأن ما يقال داخل هذا المكان لا يخرج منه أبداً لتبدأ فى سرد قصتها :

أنا أسمي (أسماء)، متزوجة من أربع سنوات وعندي ولد عمره سنتين ونصف.

من سنة تقريباً بدأ زوجي يشك في وتحولت حياتي إلى جحيم حتى طلبت منه الإنفصال أكثر من مرة ولكنه رفض واقترح والد زوجي أن ننتقل إلى مكان قريب منه ومن أهلي أيضاً، وافقت على هذا الاقتراح ؛لأنه ربما يكون تغيير البيئة يساهم فى علاج المشكلة وبالفعل قدم زوجي طلب النقل لكن النقل قد يأخذ فترة طويلة وأنا الآن فى حيرة من أمري ولا أعلم ماذا أفعل؟!

مع العلم أن زوجي غيور جداً وعصبي جداً، ربما يكون الانفصال فى هذه الحالة هو الحل، ولكن أريد أن أساعد زوجي على التخلص من هذا المرض، أنا أعتقد بأنه مريض بمرض الشك ؛ لأنه من وجهة نظري ليست هناك مواقف حقيقية دعته للشك.

بالإضافة إلى أنه غيور جداً حتى أنه لا يسمح لي بمشاهدة التلفاز، ثم إن أهل زوجي كلهم معي ويرون بأنه بحاجة للعلاج ؛ لأن الأسباب التى دعته للشك واهية جداً، بل قد لا تكون هناك أسباب من الأساس.

أنا حقيقة لا أرغب فى الانفصال إذا وافق على أن يتم علاجه، هو طيب وعاطفى ولكن هذه الوساوس غلبت على عقله وهو لا يريد العلاج، بل غير مقتنع بأنه مريض ولا يريد الانفصال.

الأمر الذى جعلني أحضر إلى عيادتك هو أنه هددني بأنه سيقتلني فى آخر مرة طلبت منه الطلاق وكنت أعنفه بشدة، أنا الآن فى بيت أهلي منذ أسبوعين ولا أعلم ماذا أفعل؟!

توقفت عن الحديث بعد أن رأته متأثرًا إلى درجة كبيرة بقصتها، وجهه محمر و ترك القلم والورقة من يده بعد جملتها الأخيرة، غير أنه لم يوقفها أبداً أثناء حديثها!

استأذنها دقيقة بعد صمت طويل وذهب إلى الحمام وهو لا يدرى ما به، جسده يرتعش بقوة وضعفت قوته فجأة وظل ينظر فى المرآة وهو يشاهد بها تلك المرأة التى تدعى أسماء مكان أمه والنيران تحيط بها من كل مكان والخوف يتملك قلبه أكثر..!

طال غيابه وتعجبت أسماء من ردة فعله فهو طبيب نفسى ومن المعتاد أنه مَر عليه حالات أصعب منها بكثير لتصبح حالتها عادية وبسيطة بالنسبة له، ولكنها لا تعلم شيئاً عن تلك المجازر التى أحيتها بداخله بقصتها.

حاول أن يستجمع بعض من قوته وهدأ نفسه، ثم خرج إليها بحالته الطبيعية الهادئة وبدأ يتحدث معها ويحاورها، سألها أسئلة كثيرة ليُلم بحالتها والمعلومات التى يحتاجها، ثم قال لها :

لا شك أن هذه المشكلة حالة مرضية تحتاج إلى تدخل طبى، لكنها ليست صعبة لدرجة تجعلها عصية على العلاج، لذلك لا أميل إلى اقتراحك بعلاج المشكلة بالانفصال، على الأقل ليس قبل اليأس الكامل من العلاج.

إن قرار كهذا يملكه الزوجان بالكامل عندما يكونان بلا أولاد، أما حينما يصبح الأولاد جزء من المعادلة فإن الكفاح إلى اللحظة الأخيرة الممكنة يصبح هو الخيار الأفضل.

ولا تنسى أن أهل زوجكِ متفهمون ومتعاونون وهى حالة غير شائعة ولا تسأليني لماذا، فإننا نعيش فى دار ظلم لا دار عدل وما أقل المنصفين فيها وما أكثر الباغين، غير أنكِ امرأة ناضجة وعاقلة ومتفهمة، استطعتي أن تفهمي مشكلة زوجكِ بشكل جيد وأبديتي رغبة صادقة فى علاجه، ومن الواضح أيضاً أنكِ وفية ومخلصة.

زوجكِ يعاني من وسواس قهرى اتخذ من جانب الشك والغيرة متنفساً لها، والوسواس القهرى هو حالة عقلية تسيطر على المرء بصورة لا إرادية، أى أن المرء يفقد القدرة على صدها أو رفضها أو منع عقله من الاستجابة لها، وهذه الحالة ليست من النوع الطبيعى الذى يعتبره أسوياء البشر أمراً مقبولاً، بل هى أقرب إلى الشذوذ والغرابة.

المصابون بالوسواس القهرى على نوعين أحدهما أهون من الآخر وأخشى أن يكون زوجكِ مصابًا بالنوع الأصعب وهو (الوهام)، ومن أشكاله فى الطب النفسى نوع ينطبق على حالتنا هذه ويدعى (الغيرة الوهامية) أو (وهام الخيانة الزوجية) وهو اضطراب عقلى معروف تنشأ عنه الأعراض التى ذكرتها.

هذا هو السبب الذى يجعله رافضاً للعلاج، بل مقاوماً له من حيث المبدأ وهذا يعقد الموضوع بلا ريب، لكنى سوف أطمئنكِ

إن هذه الحالة لا تبدو من النوع الخفيف لكنها ليست من النوع الشديد المتطرف أيضاً، انظرى إلى مقدار الحرية الذى مازلتِ تتمتعين بها، لقد سمح لكِ بالإقامة فى بيت أهلكِ بعيداً عنه وهذا أمر جيد ومطمئن.

هذا هو التشخيص، وكما ترين ليس مشجعاً جداً ولكنه ليس صعباً بالتأكيد.

فقالت له :

وما العلاج إذن؟

فأجابها قائلاً :

أولاً :

اتجهي الى الله الذى هو الشافي من كل داء، أنا أثق بالطب النفسى وأعتمد عليه بعد الله فى مثل هذه الحالات، لكنى مؤمن أيضاً بالتداخل الكبير بين الأمراض النفسية والإصابات الروحانية، تلك التى تنشأ من العين و الحسد والسحر وغيرهم.

كثيرون يؤمنون بتأثير هذه القوى لكنهم لا يحاولون التفكير فى ماهية التأثير، أما أنا فأظن أن هذه الأمور الغيبية أسباب للمرض كالأمور الحسية المادية وهذا أمر يصعب تصديقه، لكننا إذا قبلنا أن جرثومة صغيرة لا تراها العين لصغرها يمكن أن تطرح أقوى البشر أرضاً وأن تقضى عليه، فلماذا لا نقبل أن مثل هذا الأثر السيئ يمكن أن يتسبب به كائن غيرها لا نراه لسبب غير الصغر.

لا نعرف السبب ولكننا نعرف أنها موجودة بالخبر اليقين من القرآن الكريم، وإذا كان تأثير الجسم المادى الصغير وهو الجرثومة متجهاً إلى الجزء المادى من الإنسان وهو الجسد، فإن الذى يفهم بداهة أن يتجه تأثير الكائن الآخر غير المادى إلى غير الجسد وهو النفس، ومحل الإصابات النفسية سيكون الدماغ الذى تجرى فيه عمليات التفكير.

ثانياً :

سأخذ منكِ معلومات كاملة عن زوجكِ وبالتفاصيل الدقيقة وسأتقرب منه دون أن يعلم بأنني طبيب نفسى من الأساس، وعندما أجد طريقة مناسبة لأدخل بها إلى حياته يجب أن تعودي إلى البيت حتى لا تزداد حالته ويتسرب المرض إليه أكثر ويصبح تهديده حقيقة على أرض الواقع، نعم هذا ما أخشاه لذلك يجب أن تعودى إلى البيت عندما آمرك بذلك وتكوني معه على حالتكِ الطبيعية تماماً.

صمتت وبدا عليها الخوف ليطمئنها آدم قائلاً :

اطمئني لن يعرف زوجكِ شيئاً وأعلم بأنه بمجرد عودتكِ إلى البيت لن تستطيعي أن تأتي إلى هنا مرة أخرى ولكنني سأتواصل معكِ عن طريق هاتف سأعطيكي أياه وفى الوقت الذى لا يكون فيه بالبيت، ولكن أعطيني المعلومات التى أريدها الآن...

وبعد أن أخبرته بكل ما أراد معرفته سألته وهى متعجبة :

لماذا تفعل ذلك؟!

ليرد عليها قائلاً :

سأخبركِ عندما يتعافى زوجكِ - إن شاء الله –

رحلت وبقى هو وحده فى عيادته بعد أن أشعلت تلك النيران بقلبه مجدداً، ولم يتردد على ذهنه غير والده ووالدته وقصتهما المؤلمة التى حُفرت بداخله إلى آخر نفس فى عمره.

لم يستطع إكمال باقى الجلسات اليوم بتلك الحالة فرحل من العيادة قاصداً بيته، وهو فى الطريق وقف بسيارته بالقرب من هذا المقعد مجدداً مترقباً حضورها، كل ما تمناه فى تلك اللحظة هو رؤيتها ولو من بعيد، ربما تزيح صورتها بعض من ألمه.

انتظرها قرابة الساعتين حتى أتت!

جلست هناك على المقعد، تنظر جانبها لفترة ثم تميل رأسها إلى الأسفل فى وضع ينم على مدى الألم والحنين والشوق، ثم وقفت واقتربت من السور واستندت عليه وهامت فى سحر النيل كما اعتادت أن تفعل.

تمنى بأن يسرع إليها ويأخذها بين أضلاعه ويبكى بحرقة، تمنى بأن يمسك يدها ويأخذها بعيداً فى عالم لا يوجد به سوى هو وهي فقط، تمنى وتمنى ولكن ما فائدة التمنى فى عالم يسير فى اتجاة واحد، لا يعلو فيه إلا صوت صرخات أناس حرموا من أقل حقوقهم لو أن البكاء يقرب المسافة بينهما و يزيل العواقب التى وقفت عائق بينهما لبكى ولكن لن يفيد بكاؤه بشىء، ولو علم بأن هروبهما سيؤدى بهما إلى العالم الذى كثيراً ما تمنوا العيش فيه لأخذ بيدها الآن قبل الغد،

ولكن كيف يهرب من القدر الذى بات يلاحقه فى كل رقعة تقدم عليها قدميه!

كيف يهرب من حقيقة والديه وألم والدته وندمها على هروبها من أهلها؟!

وكيف يهرب من نفسه وهو يسرقها من والدها بغير إرادته؟!

ظل يسأل نفسه تلك الأسئلة ولم يجد لها جواب كالعادة حتى اشترت الورد ورحلت!

رحلت أمام عينيه وتركها

تمنى بأن ترى دموعه وهى تتساقط منه ألماً وحسرة على فراقهما لعلها تدرك كم يعاني فى غيابها.

مؤلم حين يفرق القدر بينك وبين أقرب البشر إليك، بل هى البشر بالنسبة إليه، حين تشعر بجسدك وهو يمزق نصفين أحداهما يرفض الاستسلام والآخر يرضى به.

مؤلم حين تعاتبك جوارحك كلها من أجل شىء بعيد كل البعد عن متناول يدك بعد أن كان ملك لك!

رسالة جديدة وصلت إلى عم حسن لتجعله يتألم أكثر وتزيد حالة الخوف بداخله إلى أقصى درجاتها، الرسالة كُتب فيها :

(بعد أن تعيد كل شىء إلى طبيعته، ستكون فى مكانك الطبيعى.

هذه رسالتي الأخيرة يا صديقي، لذلك انتظر).

obeikan.com

بعد تلك الرسالة تدهورت حالته الى درجة غير مطمئنة وتخلى عن صمته بعد أن علم بقرب تنفيذ حكم الإعدام عليه!

عاد آدم إلى البيت ليجد عم حسن بمفرده وأمينة كانت بالخارج، رأى آدم تلك النظرات مجدداَ فى عينيه وحاول أن يتحدث معه أكثر من مرة ولكنه لا يرد عليه، تركه ودخل غرفته فدخل خلفه وطلب منه بألا يبدل ملابسه ويريد أن يذهب معه بسيارته إلى مكان ما ولم يخبره عن المكان.

وافق آدم ونزل معه

كان عم حسن هو من يقود السيارة وأثناء الطريق سأله آدم عن المكان الذى يريد الذهاب إليه، ولكنه لم يرد عليه أيضاً، ولكن تذكر آدم ذلك الطريق، وكيف ينساه؟!

سأله وهو متعجب :

أين نذهب؟!

هذا طريق بيت أبي وأمي، لماذا سنذهب إلى هناك مجدداً؟!

لم يرد عليه أيضاً حتى وصلا إلى البيت

فتح عم حسن الباب وبعد أن دخل آدم بعد تردد أغلق عم حسن الباب خلفه!

لم يعلم آدم لما أحضره عم حسن إلى هذا البيت حتى الآن، ولكن هذا الأمر لم يشغل باله فى لحظاته الأولى بالبيت، بل تذكر ما شعر

به فى المرة الأولى، وتذكر كل لحظة ألم وحزن وأسى عاشها فى ذلك اليوم.

أشعل عم حسن شمعة، ثم أشار بأصبعه الى الركن الذى كان يوجد به التمثال وقال :

ألم يكن يوجد هنا تمثال عندما أحضرتك إلى هنا فى أول مرة؟

أين هو؟!

بالتأكيد لم ينس آدم ذلك التمثال، ولكن أين هو؟

التمثال لم يكن موجود، اختفى!

وبعد صمت طويل أجابه :

نعم، كان هنا تمثال، ولكن لا أعلم أين هو؟

لم أحضر إلى هنا غير المرة التى أحضرتني فيها عندما أخبرتني بحقيقة والدي.

أخرج عم حسن ورقات من جيبه وأعطاها لـ آدم، تلك الورقات هى الرسائل التى كانت تصل إليه، ثم سأله :

لماذا ترسل إلي تلك الرسائل يا آدم؟!

وماذا تقصد بها؟

أنا لا أفهم منها شيئاً..!

obeikan.com

تعجب آدم من كلماته وأخذ منه الرسائل وهو يقول :

أنا أرسل لك رسائل!

أخذ يقرأ ما بها وينظر إليه من حين إلى آخر وما إن انتهى حتى أخذ منه الرسائل ثانية.

صمت لوقت طويل ولا يعلم آدم ما يقول

ثم قال له عم حسن :

إذا كنت تريد أن تقتلني فاقتلني هنا والآن!

عادت أمينة إلى البيت ولم تجد آدم، لم يقلقها غياب آدم ولكن غياب عم حسن هو من جعلها تقلق فهو لم يغادر البيت مطلقاً منذ حريق المصنع، أين ذهب؟

حاولت الاتصال بآدم ولكن هاتفه مغلق فاتصلت بـ أحمد، وبعد أن حضر أحمد إليها دار بينهما حديث طويل وتسربت الوساوس إلى عقلهما أكثر كلما تأخر غيابهما.

ذهب أحمد الى العيادة ولكنه لم يجده هناك، ثم عاد الى البيت مرة أخرى وانتظر...

الأمر الذى جعلهما يقلقان أكثر، بل ويتسرب الخوف إلى قلبيهما هو أنهما لم يجدا الرسائل التى كانت تصل إلى عم حسن فى مكانها، لماذا يغادر البيت بها؟!

وأين آدم؟!

وصل آدم إلى البيت ولكن بمفرده!

ظهر عليه التعب والألم وملابسه متسخه وبها آثار حروق وكأنه كان فى وسط نيران، بل بركان!

وقف أحمد وأمينة عندما رأوه بهذه الحالة وسألوه فى نفس واحد :

أين كنت يا آدم؟!

لم يستطع الوقوف فجلس على الأرض مكانه، فأسرع أحمد إليه وأسنده إلى غرفته، وبعد أن أحضرت له أمينة شيئاً يشربه رفض شرب أى شىء ولم يجب على أسألتهما وبدا وكأنه فى عالم آخر!

قطع آدم أسألتهما قائلاً :

اذهب يا أحمد وأحضر والدك...

تعجب أحمد قائلاً :

أبي كان معك، أين؟!

فأجابه آدم :

فى ذلك البيت، فى بيت والدي القديم، ولم يقل غير ذلك.

صمت أحمد وفى نفسه يعلم بأن هناك كارثة حدثت، ولكنه لا يعلم مكان البيت فذهبت أمينة معه.

وعندما وصلا إلى البيت وجداه جالساً على الأرض فى الركن الذى كان يوجد به التمثال ولم تختلف حالته عن آدم كثيراً، بل كانت أسوأ وآثار حريق خمدت فى غرفة فى آخر البيت!

وعندما عادوا الى البيت أدخلاه غرفته وبدلت له أمينة ثيابه وتركته ينام بعد أن حاولت أن تتحدث معه ولكن دون جدوى.

عادوا الى آدم وحاولوا أن يفهموا منه ما حدث :

طلب مني بأن أذهب معه الى مكان ما بسيارتي، ولكن وجدت نفسى فجأة أمام بيت والدي، وبعد أن دخلنا سألنى عن تمثال كان فى البيت، كنت قد رأيته فى المرة السابقة ولكنه اختفى ولا أعلم عنه شيئاً.

أعطى لي ورق، كل ورقة مكتوب بها جملة واحدة ومعنى الكلمات أنها رسائل تهديد تصل إليه ويتهمني بأني من أرسل إليه تلك الرسائل، ولكني لم أرسل شيئاً.

ثم أدخلني تلك الغرفة التى حُرقت بها أمي ونثر سائل بترولي على حافة باب الغرفة وأنا بداخلها وهو عند الباب، ثم نثر البقية داخلها وأنا واقف مصدوم مما يفعله، انتشرت النيران فى الغرفة وحينها عدت إلى وعيي وأدركت ما يفعله وحاولت الخروج من الغرفة وهو كان يمنعني من على الباب حتى خرجت ورحلت مسرعاً وجئت إلى هنا!

آثار الصدمة واضحة تماماً على كل من أحمد وأمينة، وساد بينهم صمت طويل قطعه آدم بسؤاله لـ أمينة :

لماذا لم تخبريني بأن أبي لايزال على قيد الحياة؟!

أبي من أرسل تلك الرسائل بالتأكيد، ولكن أين كان كل هذه السنوات؟!!!

سأل أحمد آدم قائلاً :

ولكن لماذا حاول أبي قتلك أنت؟

فأجابه :

هو يظن بأنني من أرسل إليه تلك الرسائل وبأنني أهدده ولكن لماذا؟

لقد قال لي عندما أعطاني الورق (إذا كنت تريد أن تقتلني فاقتلني هنا والآن)!

لماذا أقتله؟

ولماذا يريد أن يقتلني؟!

أنا لا أفهم شيئاً، بالتأكيد هناك سبب.

جلس أحمد ويده على رأسه بعد صدمته من فعلى والده، ثم قال :

آدم

هل تظن بأن أبي فقد عقله نتيجة لرسائل التهديد التى يرسلها والدك؟!

obeikan.com

نظر آدم اليه نظرة لوم وقال :

والدي ووالدك!

والدك هو والدي وليس لدي والد آخر يا أخي، أما ذلك الرجل هو قاتل أمي وإذا كنت لا أعتبره والدي لما جئت إلى البيت بعد ما حدث اليوم.

ولكنى أخشى من أن يكون كلامك صحيح يا أحمد

حالته كانت غير طبيعية منذ فترة كبيرة، صمته الدائم ونظراته الغريبة لي....

قاطعت أمينة حديثه وأضافت :

غير أنه كان يردد اسم نجيب كثيراً وهو نائم وفى الأيام القليلة الماضية كان يجلس فى غرفته وينظر إلى الباب لفترة طويلة دون ملل ويده ترتعش ولا أعلم السبب.

وأكمل أحمد :

وأنا أيضاً شعرت بأنه غير طبيعى معى، وكثيراً ما كان يردد كلمة الموت فى حديثه وبأن أجله قد اقترب لذلك كتب لي المصنع وكتب لك بيت والديك.

قال آدم :

هذا أمر طبيعى يا أحمد، ولا تنسى أن عمره ستة وخمسون عاماً، ولكن الغير طبيعى هو ما تقوله أمي وما حدث اليوم.

openkan.com

فأكملت أمينة :

ربما صور له عقله بأنك نجيب ؛لأنه بعيد عن يده ولأنك ابنه فأراد أن يقتلك أنت وبهذا يظن أنه تخلص من نجيب، أتفهمني؟

فأجابها آدم :

نعم أفهمك

ولكن إذا كان كلامك صحيحاً فهو أصبح الآن مريضا نفسيا وحالته خطيرة.

فاسأله أحمد :

وماذا نفعل الآن؟

آدم، لن يذهب أبي إلى المستشفى صحيح؟!

صمت آدم للحظات، ثم قال :

لا، لن يذهب إلى المستشفى يا أحمد، لا تخف.

يمكننا أن نعالجه هنا فى البيت ولكن نفذوا ما أطلبه منكم بعناية :

أولاً :

يجب أن أترك البيت وأنتم تعلمون السبب جيداً وسأتابعه عن طريقك يا أمي فى هذه الفترة فقط.

ثانياً :

سأعطيكِ أدوية تعطيه له فى العصائر، هذه الأدوية ستجعله يتحسن إذا أعطيته له باستمرار وفى الموعد.

ثالثاً :

لا نستطيع أكثر من أن ننتظر ردة فعل نجيب، فقد قال فى رسالته السابقة بأنها رسالته الأخيرة، لذلك يجب عليك يا أحمد بأن تظل هنا معهم.

قال أحمد :

حسناً، هناك شقة أمام شقتى يبحث مالكها عن مشتر لها، سأتحدث معه غداً وأسكن هناك حتى أطمأن على زوجتي وابنتي.

وافق آدم على هذا الاقتراح، وبالفعل انتقل إلى تلك الشقة وظل أحمد وأمينة بجانب عم حسن.

حاول آدم قدر الإمكان أن يكون هادئاً وفى حالته الطبيعية أثناء حديثه مع أحمد وأمينة، ولكن بداخله كان يتألم بعد أن علم أن والده لايزال على قيد الحياة بعد أن أخرج والدته منها!

مَر أسبوع ولم يذهب آدم إلى عيادته خلاله ويتابع حالة عم حسن عبر أمينة، أما أحمد فقد كان يتردد إلى بيته كل يومين ليطمئن على زوجته وابنته لساعات قليلة ثم يعود، وفى آخر مرة وقبل أن يعود إلى بيت والده دخل الى آدم وأخبره بأنه سيترك المكتب عند والد روح وسيفتح مكتب خاص به بعد أن يشفى والده بعد أن اكتسب خبرة

كبيرة فى مجال عمله لسنوات، كما أنه بدأ فى إصلاح ما أتلف من المصنع ليعيد تشغيله.

وأخبره أيضاً بخبر زاد على آدم الحزن والألم، وندم بعد ذلك على إخباره وهو فى هذه الحالة.

أخبره بأن روح ستتزوج بعد إسبوع من اليوم وليته لم يخبره!

انكسر قلبه ليس لأنه فقدها فقط، ولكن لأنه يعلم جيداً بأنها ستتزوج من رجل لا تحبه، بل ستتزوج رجل وقلبها وعقلها مع رجل آخر، عذاب من نوع خاص بات ينتظر روح...!

روح الآن فى غرفتها مكسورة القلب، حزينة وفاقدة للذة الحياة بعد أن انقطع عنها الأمل نهائياً بهذا الزواج، رجل لم تره سوى مرة واحدة ولا تعلم عنه شيئاً ولو كان أجمل وأغنى رجال الأرض لرفضت، ولكن يكفى أن والدها وافق عليه وهى لا تعلم السبب كما لم تعلم سبب رفضه لـ آدم، ولكن ربما لأنه ابن لأحد أصدقائه الأغنياء أصحاب القوى والمال.

بقى على حفل زواجها أسبوع واحد ولكنها فى واد آخر، لا تهتم بأى تفاصيل، لا تهتم ولا تفكر إلا به هو!

أتي موعد الزفاف وإذا بها جالسة كأنها تودع العالم الذى كانت تحلم به لتبقى مقيدة فى عالمها الضرير حتى دخل الحفل رجل عجوز، يبدو عليه الفقر، جذب انتباه الحضور جميعاً فهو ليس من مستوى الحضور بالمرة، وصل إلى روح وظل ينظر إليها وعيناه

لونت باللون الأحمر على قصة حب باءت بالفشل، أعطى لها الورد ورحل دون أن ينطق بكلمة واحدة وسط ذهول من الجميع.

إنه العجوز الذى اعتادت أن تشترى منه الورد يومياً !

علمت بأن آدم هو من أرسله فهو لن يعلم موعد ومكان الزفاف بمفرده، علمت بأنه كان يراقبها من بعيد وبأنها لم تكن مخطئه حين أشفقت عليه ولم تبدل مشاعر الحب اتجاهه بالكره والندم، وكأنه يقول لها (انتظرتكِ اليوم ولم تأتي...!)

حبست دموعها وصمتت وهى تحاول أن ترضى بقدرها ونصيبها، ذلك القدر الذى أبعدها عن آدم بعد علاقة حب متبادلة وصعوبات وسنوات من الصبر من أجل أن تصبح فى النهاية لرجل لم يتكبد العناء حتى وصل وحصل عليها..!

رن هاتف آدم وإذا به عمر، ذلك الشاب الذى أتي إلى عيادته منذ فترة ويخبره بأنه ذهب إليه أمس ولكنه وجد العيادة مغلقة واتفق معه على أن تكون جلسته الثانية بعد ثلاثة أيام.

لم ينس آدم أسماء

بدأ يفكر فى طريقة مناسبة يتقرب بها إلى زوجها حتى وجد طريقة مناسبة.

اتصل بـ أسماء وأخبرها بأن تخبر والد زوجها بأنه وجد له عمل جيد فى مصنع وسيكون محاسباً به وبراتب ضعف ما يأخذه فى الشركة الحكومية هناك وبأن تعود إليه فى حالة موافقته، وانتظر

منها الرد...

اتصل أحمد به وأخبره بأن عم حسن لا يزال على حالته، لا يتحدث مع أحد ودائماً فى غرفته ومثل ما قالت أمينة، يجلس بغرفته وينظر إلى الباب وهو يرتعش ويردد اسم نجيب، كما إنه لا ينام سوى ساعات قليلة جداً، وتعجب آدم من ذلك لأن الأدوية التى أحضرها لـ أمينة كان يجب أن تهدئه وتجعله يسترخى وينام لساعات طويلة، ولكنه طلب منه بأن يظل يعطيه الدواء فى معاده.

بدأ أحمد يعود إلى حياته الطبيعية مع الوقت ومع استمرار حالة والده دون تحسن أو تدهور، وظلت أمينة بمفردها معه معظم الوقت.

حضر عمر فى الموعد وبدأ جلسته الثانية مع آدم :

- من أين نبدأ؟

* من اللحظة التى جعلتني أتألم حتى وصل بي الحال إلى هنا.

كنت فى الصف السادس الابتدائى ولكني لم أكن مثل باقى الأطفال فى مثل هذا العمر، لم أكن أهوى اللعب ولا مشاهدة التلفاز فقد كنت أشعر بأن عقلي أكبر من ذلك الجسد الصغير حتى أنه لا يستطيع حمله، لاحظ ذلك أيضاً والدي وأقربائي.

كنت أعشق القراءة فى مجالات كثيرة فى ذلك العمر الصغير، كنت أحب قراءة الشعر والقصص القصيرة، وكونت عقلية ستينية فى طفولتي حتى أنني كنت أجلس مع الكبار ولا أستمع إلى أصواتهم، بل إلى عيونهم حتى ثقفت نفسي بعيون البشر.

عرفت من ذلك الوقت المبكر معنى النفاق والكذب والحقد والحزن وغيرهم من عيونهم وتصرفاتهم، ومنذ ذلك الوقت بدأت المشاكل تقتحم حياة والدي وتأثرت كثيراً بها كما أخبرتك فى الجلسة السابقة، ونتيجة لذلك انعزلت عنهم مع مرور الوقت وكثرة المشاكل، ووجدت منهم الترحيب لتلك العزلة دون لوم!

وصلت إلى الصف الثاني الإعدادى وأنا مازلت على هذه الحال واقتصرت حياتي على كتبي وغرفتي دون أدني اهتمام من أحد، و لكن ظلت (أروى) متنفسى الوحيد فى الحياة فى تلك الفترة.

- من أروى؟

* أروى كانت زميلتي فى المدرسة من الصف الأول الابتدائي إلى هذا العمر، كنا نذهب إلى المدرسة كل يوم ونعود معاً، كانت حب طفولتي إلى أن جاء هذا اليوم.

كنا عائدين من المدرسة وقد أخذنا حينها نتائج اختبارات الشهر الثاني من الفصل الدراسي الأول، حصلت هي على نتائج أعلى مني فى هذا الشهر، هذا لم يكن يحدث عادة لذلك اشتدت فرحتها وأخذت تضايقني مثلما كنت أفعل عندما أحصل على درجات أعلى منها.

غَنت ورقصت والناس ينظرون إلينا

لم أتضايق حينها، بل فرحت لفرحها وضحكتها كانت تُدخل الفرحة إلى قلبي، ظلت تغني وتسير بدلع حتى شعرت بأن الزمن يتباطأ تدريجياً حتى توقف وتوقف معه كل شيء إلى هذه اللحظة التى أجلس فيها معك الآن.

- ماذا حدث؟

* كنا نسير بجانب الطريق، وكانت وهى تغني وتمشي وكأنها تقفز بخفة ودلع تقترب من منتصف الطريق دون أن تدري، أما أنا كنت هائماً فى ضحكتها وحركاتها إلى أن صدمتها سيارة...!

نظر إليه آدم نظرة طويلة وهو يتألم معه كأنه هو من عاش تلك اللحظات، ولكنه لم يقاطع حديثه ليكمل عمر :

تجمع الناس حولها وحملوها فى تلك السيارة وذهبوا بها إلى المستشفى وأنا لم أتحرك من مكاني، وكأن قلبي تجمد حتى عجزت عن الحركة، ولم أر أمامي غير ضحكتها وهى تنظر إلي.

شعرت بأني عاجز وبأن عمري اقترب فجأة من السبعين بعد أن عجزت عن إنقاذها وبعد أن وقفت مكاني دون حراك ولم أحتمل تلك الصدمة.

لا أعلم إلى متى استمرت وقفتي تلك، ولكني حركت قدمي بصعوبة بعد فترة طويلة وعدت إلى البيت، لا أعلم ما حدث لها ولا أين هي الآن؟!

مَر أسبوع وأنا أنتظرها فى المكان الذى كنا نتقابل فيه ونذهب منه إلى المدرسة سوياً ولكنها لم تأت ولم تأت إلى المدرسة.

كنت أحاول أن أقنع نفسي بأنها بخير، وبأنها ستعود غداً، ولكن غداً أتي بدونها ولم تعد!

توفت بعد ثلاثة أيام من الحادث، علمت خبر وفاتها بعد أن ذهبت إلى بيتها وسألت عنها بعد أن نفذ صبري.

بالتأكيد ازدادت عزلتي واقتربت من جدران غرفتي أكثر حتى فقدت الشعور بكل شيء، كل شيء أصبح بلا معنى بعدها، أعلم بأن لكل منا قصة حب فى طفولته وتأخذ وقتها وتنتهى، ولكن نهاية قصتي كانت مأساوية بعد أن وقع ذلك الحادث أمام عيني.

قاطعه آدم قائلاً :

- جميعنا يفقد أناس كانوا بمثابة الحياة لنا، منا من يفقد أمه أو والده، ومنا من يفقد زوجته أو ابنته، ومنا من يفقد حبيبته أيضاً، هذا أمر طبيعى ويحدث باستمرار، جميعنا سيواجه نفس المصير فى أى وقت.

* ولكن ليس بهذه الطريقة ولا بهذا العمر وغالباً يتواجد بجانبهم أناس يحاولون سد الفراغ الذى يتركه الفقيد، أما أنا فلا.

- لا فى مثل هذا العمر وأصغر منك أيضاً، ولكنك حساس جداً غير عقلك الناضج من صغرك فكنت تزن الأمور بميزان الكبار، ولكن حادثة أروى ليست السبب الحقيقي فى حالتك تلك يا عمر.

- وما السبب إذن؟

* أعتقد بأن عدم اهتمام والديك بك ومشاكلهم المستمرة كان سبباً قوياً لذلك، واستسلامك لهذه الحالة لعب دوراً كبيراً أيضاً.

الدليل على أن حادثة أروى لم تكن السبب الرئيس فى حالتك تلك هو أنك أحببت تلك الفتاة التى كانت تدرس معك فى الثانوية كما أخبرتني فى الجلسة السابقة، ولو كانت السبب الرئيس لما عرف قلبك معنى الحب ثانية.

كما أن إحساسك بالعجز بعد الحادثة ورؤيتك لـ أروى وهي ملقاة على الأرض ودماؤها حولها أفقدك توازنك وقطع الخيط الذى يربطك بالحياة بعد أن ضعف بسبب عدم اهتمام والديك بك ومشاكلهم.

كان يجب عليك حينها بأن تسارع فى وصل طرفى الخيط وبأن تربطهما بعقدة سميكة، ولكنك اكتفيت بذلك القدر واستسلمت للعالم، العالم الذى اقتصرته على والديك و أروى فقط وتجاهلت ملايين البشر بالخارج حتى إنك تجاهلت نفسك أيضاً، ولم تستطع الاكتفاء بذاتك بدليل أنك هنا الآن يا عمر.

لا أقصد بكلماتي أنك يجب أن تكتفي بذاتك وتزيد من ارتفاع السور الذى بنيته بينك وبين البشر، يقولون إنه يجب أن نتعلم الاكتفاء بأنفسنا، كى لا ينقصنا قرب أحد، أو يؤلمنا بعده.

هذا القول هو الأقرب والأصح وليس بأن نبتعد نهائياً عمن حولنا خشية الفشل والألم وإنهاء العلاقات، يجب أن تخرج من عالمك هذا كما أخبرتك وتبدأ بالاختلاط والتجانس مع البشر، ولكن بحرص حتى لا تتعرض لخيبات أخرى.

قد نخطئ ونندم على أشياء كثيرة!

ولكن أصعب ما قد نندم عليه، هو خيبة أمل فى أشخاص اخترناهم بإرادتنا ولكن أخطأنا فى نظرتنا إليهم، وهو سبب أصيل يدفع معظمنا إلى الاكتفاء بأنفسنا دون أحد بسبب اختياراتنا الخاطئة.

كان يجب عليك أن تحاول ولو محاولة صغيرة فى إنهاء المشاكل بين والديك ولكنك استسلمت لهذا الأمر ؛ لأنه أبعد عنك فرصة تكرار هذه المشاكل، وهذا خطأ كبير يا عمر.

قاطعه عمر قائلاً :

* لا أعلم لماذا نحتاج إليهم؟!

ألا يمكن أن نقضى فترتنا فى هذا العالم بسلام دون ألم؟!

- يقف الأمر عليك يا عمر!

أتريد أن تقضى عمرك بأكمله وأنت ميت، حتى تخرج منها، أم تريد أن تعيشها بحلوها ومُرها؟

إذا أردت أن تعايش هذا العالم يجب عليك أن تتألم وتندم وتفرح وتحب وتكره، وإذا أردت أن تعايشه بسلام يجب عليك أن لا تتعمق فى تفاصيل كل شىء كما تفعل، وخذ الأمور من أعلى نقطة ؛ لأن التفاصيل دائماً مُرهقة وتكشف لك ما لا يُسعدك.

لقد محوت نفسك من العالم نهائياً وهذا خطأ كبير؛ لأن الله لم يخلقنا فيه لنسير على هامش صفحاته دون أن ندون بها ولو بضع كلمات، يجب أن تترك بصمتك بهذا العالم، يجب أن تجد نفسك!

ابحث عن حلم واسع فى تحقيقه، عن صديق مخلص يساندك فى هذا العالم، عن حب يكشف تلك الغيوم عن عينيك وحينها سترى نفسك بالشكل الذى تريده، ستشعر بكل شئ كما تريد وكيفما تريد.

هناك أشياء بسيطة يمكنك من خلالها الشعور بالحياة

جرب بأن تصعد على سطح بيتك ليلاً واستلق على ظهرك وتأمل ذلك الفضاء الواسع!

ابحث بداخلك عن لحظة فرح عشتها مع أحدهم واضحك وابتسم وكررها مرات ومرات، هناك أشياء بسيطة كثيرة ولكن نحن من نصب كل تركيزنا على ما يحزننا.

صدقني يا عمر

الحياة أجمل مما نتخيل، ولكن فقط علينا بأن نبحث عنها بداخلنا ؛ لأن الحياة هى نحن، نحن من نصنعها ولا نحصد منها سوى ما زرعنا، فقط يتدخل القدر فى أشياء بسيطة ولكنه كونى بغير إرادتنا، وفقط علينا أن نبتسم له حتى يمر من أمامنا مرور الكرام...!

صمت عمر بعد كلمات آدم وأخذ يفكر بها حتى وافقة على كلماته ووعده بأنه سيحاول، وعندما وصل عمر إلى الباب أوقفه آدم قائلاً :

عمر، لا تظن بأن ما تشعر به الآن هو الشعور الأسوأ، صدقني هذه هى البداية فقط إذا أصررت على أن تمضى قدماً فى هذا الطريق.

أنت من دخلت بقدميك وبإرادتك فى هذا الطريق، ولكنك لن تستطيع أن تخرج منه أبداً، وبغير إرادتك سيقلبك الزمن بين كفيه وحينها لن تفقد الشعور بمن حولك فقط، بل ستفقد الشعور بنفسك أيضاً، ستشعر بأنك جسد بلا روح وحينها ستتمني الموت ولن تجده...!

رحل عمر بعد تلك الكلمات وبقى آدم فى عيادته يتأمل حاله وما هو عليه الآن من صراعات وآلام، أعاد كل كلمة قالها لـ عمر وتألم معها.

مؤلم حين تحدث أحدهم وتنصحه، وأنت فى أمس الحاجة لتلك النصيحة، حين تنظر جانبك ولا ترى سوى فراغ وتراب خلفه الزمن خلفك، حين تتراكم عليك ذكرياتك الأليمة دفعة واحدة ولا تقوى على تحملها فتبكى وتبكى ولا تفعل شيئًا غير البكاء.

بعد يومين اتصلت أسماء به، وأخبرته بأن زوجها وافق على العمل فى المصنع بعد إلحاح من والده بعد أن أخبره بأن صديق له يعرف صاحب المصنع جيداً.

ذهب آدم بعد ذلك إلى عم حسن، أراد أن يرى بنفسه حالته بعد فترة من العلاج، دخل غرفته وأغلق خلفه الباب بعد اعتراض من أمينة ولكنه طمأنها.

لم يكن عم حسن نائماً، بل كان جالساً على مقعد مناظر لباب الغرفة كعادته وما إن رأى آدم حتى نظر إليه بهدوء وكأن لم يحدث شيء مطلقاً.

لم يطمئن آدم لهدوئه فعندما أراد أن يقتله فى ذلك اليوم كان هادئاً أيضاً ويتحدث معه بهدوء حتى كاد أن يقتله هدوئه حرقاً، لمح آدم أطراف ورق فى جيبه بالتأكيد هى تلك الرسائل وكان نجيب صادقاً فى كلامه فلم يرسل له رسالة أخرى ولكن ردة فعله تأخرت ولم يظهر إلى هذه اللحظة.

بدأ آدم الكلام معه ولكن قاطعه عم حسن وهو جالس وساند رأسه على كرسيه قائلاً :

ماذا ستفعل؟

ستقتلني؟

ليجيب آدم عليه قائلاً :

لا، لن أقتلك.

أنا آدم ابنك، أنت من جعلت مني رجلاً، لماذا أقتلك إذاً؟

* لا أنت لست ابني، أنت ابن نجيب، وقد حرضك لتقتلني.

- إذا أراد نجيب أن يقتلك لما أرسل لك تلك الرسائل، هو يريد أن يجعلك خائفاً منه وتفقد عقلك بذلك الخوف مثلما فقد عقله بدافع الشك وقتل أمي.

لا تسمح له بذلك با أبي، لا تجعله يقحم بداخلك الخوف ويفقدك الحياة بأكملها مثله، قاوم ذلك الشعور وعد إلى حياتك وإلى زوجتك.

بكى عم حسن مثل الطفل الصغير حتى وقف من على مقعده وجلس بين قدمي آدم وظل يردد :

أرجوك لا تقتلني

أتوسل إليك بأن تسامحني...!

لم يتحمل آدم ذلك الموقف فبكى يعلم ما يشعر به عم حسن جيداً فى تلك اللحظات فقد عاشها عندما جلس أمام التمثال فى ذلك اليوم بعد أن ضعفت قوته وضاقت عليه الدنيا حتى إنها حطمت عظامه، الشعور مختلف ولكنه فى كلتا الحالتين مؤلم إلى حد الموت.

آدم كان يشعر بالغضب من والده بسبب ما فعله بوالدته، ومن تركه وحيداً ليربى تحت سقف بيت رجل آخر، أما عم حسن فيشعر بالخوف من نجيب وتهديداته حتى إنه تمنى أن يسارع فى تنفيذ تهديده بعد أن حطم الخوف قلبه.

حاول آدم معه كثيراً ولكنه مصر على أن آدم جاء ليقتله، لم يتحمل آدم رؤية الرجل الذى قام بتربيته بين قدميه ويبكى بحرقة ويطالبه بأن يسرع فى قتله، فخرج من الغرفة ومن البيت بأكمله وهو فى حالة انهيار تامة.

حالة عم حسن تزداد سوء يوم بعد يوم، ويجب أن ينتقل إلى المستشفى ليتم علاجه بعناية وتحت رعاية طبية متكاملة، ولكن آدم لم يرد ذلك وتمسك بآخر أمل له وهو ظهور نجيب.

عاد آدم إلى البيت وهو متأثر من ذلك الموقف، وبعد أن هدأ قليلاً ذهب إلى شقة أحمد ليطلب منه طلبين :

الأول :

هو أن يوظف (عمرو عبد الرحمن) عنده فى المصنع محاسباً بعد أن حكى له قصته، وترك له مهمة أن يقربه منه فى أقرب وقت ممكن على أنه يعمل أى شيء غير طبيب نفسى، حينها شعر أحمد بالخوف على آدم من حالة عمرو ؛ لأنها ربما تعيده إلى حالة الاكتئاب والخوف الذى مر بها منذ سنوات، بالإضافة إلى الحالة التى يمر بها عم حسن، وفقدانه لـ روح بعد زواجها من رجل آخر.

كل هذه الأشياء جعلته يتردد فى الموافقة على طلبه، غير أن هذا ما كانت تخشاه أمينة عندما طلبت منه عدم الالتحاق بذلك القسم، ولكن إلحاح آدم عليه جعله يوافق على طلبه.

الطلب الثانى :

آدم أراد أن يتحدث مع والد عمر، والفترة الكبيرة التى عمل بها أحمد فى مكتب والد روح وهو أحد أكبر مكاتب المحاماة جعلت له علاقات قوية مع رجال أصحاب نفوذ فى البلد، وهذا الأمر ساعده أيضاً فى المكتب الخاص له، لذلك طلب منه بأن يبحث عن عنوانه ومركز الشرطة الذى يخدم فيه.

بعد يومين فقط نفذ أحمد طلبي آدم

وبالفعل عمل عمرو فى المصنع وأخذ يتقرب منه أحمد تدريجياً وبعناية وبحذر حتى لا يشعر بشىء حتى يأتى الوقت المناسب ليعرفه على آدم.

عادت أسماء الى البيت كما طلب منها آدم وعاملته بصورة طبيعية بعد أن انتقل عمرو الى مكان قريب من المصنع وصادف بأنه قريب من أهل كل منهما كما أرادت، ولم تتردد على عيادة آدم خشية زيادة حالة الشك الذى تملكت زوجها وأخذت تعطى المعلومات اللازمة لـ آدم عن طريق الهاتف الذى أعطاه لها وفى الأوقات المناسبة.

شغل عقل آدم الكثير من الأمور فى ذلك الوقت رغم حالت السيئة

حالة عم حسن التى كانت تؤلمه ويسعى الى شفائه بأى وسيلة بعيداً عن المستشفى من أجله ومن أجل أمينة وأحمد، وحالة (عمرو وأسماء) التى يخشى بأن تتكرر قصة والديه معهما ولا يريدها بأن تلقى مصير والدته، وحالة عمر بعد أن دخل بكامل عقله الى حياته والى والده ولكن الأمر الذى دفعه لذلك هو إنقاذ ذلك الشاب من تلك الحالة ليعود الى الطريق الصحيح الذى كان يجب أن يتواجد عليه منذ طفولته.

هذا كله بجانب خوفه من ظهور نجيب مجدداً ومن ردة فعله التى ربما ستحرمه من رجل وامرأة قضوا حياتهم فى تربيته والاهتمام به مثلما حرمه من أمه بعد صبر دام ستة سنوات لها.

وكانت روح هى همه الأكبر فى ذلك الوقت رغم بعدها كل البعد عنه، كيف هى الان؟!

وهل وجدت مع هذا الرجل العالم الذى طالما ماأرادت أن تعايشه مع آدم؟!

هل مازالت تتذكر آدم أم نسيته وتحولت مشاعر الحب التى كانت تتملكه إلى ندم وكره؟!

أسئلة كثيرة كانت تجول فى خاطره ولكنه تمنى بأن تعيش الحياة التى عجز هو عن تحقيقها لها، وبأن تجد فى ذلك الرجل ما يرضيها ويشبع قلبها بالحب والأمن والاهتمام.

مسكين يا آدم

كأنه مقيد على صراط الدنيا والظلام يتملك بصره ولا يشعر سوى بلدغات الكلاليب على جسده وتترك أثراً قوياً عليه، قدر له بأن يخصص عالمه فى التدخل فى عوالم أخرى ليداوى جراحها ليتزن العالم الكبير الذى يجمعهم.

تقرب أحمد من عمرو للدرجة التى تزيل عنه الشك فى أن كل هذا لعبة من والده، وحكى له أحمد عن آدم كثيراً وعن قصة والديه كما أراد آدم لعله يتأثر بها وهذا الأمر سيجعل عمرو يفتح الموضوع مع آدم وليس العكس.

ومن هنا بدأ آدم يتقرب منه، ذهب إلى المصنع أكثر من مرة وتحدث مع عمرو كثيراً، وبدأت الصداقة تجمعهم مع الوقت حتى بدأ

عمرو يزور آدم فى شقته أكثر من مرة، وانتظر آدم أن يسأله عمرو عن قصة والديه حتى يبدأ مهمته التى دفعته الى عمل كل هذا، الى أن جاء اليوم الذى أنتظره آدم :

اتفقوا على أن يجلسوا على أحد المقاهى فى وسط المدينة بعد العمل، ولكن أحمد لم يحضر ليذهب الى مكتبه، وجلس آدم وعمرو بمفردهما هناك.

عمرو لم يختلف عن آدم كثيراً، قليل الحديث وهادئ جداً لذلك كان آدم يتنكر من شخصيته فى حضوره ويمسك هو زمام الحديث حتى سأله عمرو السؤال الذى كان ينتظره آدم :

* أحمد حكى لي عن والديك، هل هذا حدث بالفعل؟

نظر إليه آدم وكأنه متفاجئ من حديثه، ثم قال :

- نعم هذا ما حدث.

* ولكن لماذا قتلها؟

- لأن الشك تملك عقله يا عمرو، وظن بأن والدتي تخونه دون دليل ولا دافع لذلك، ولكن الهلاوس أفقدته عقله وصورت له أمي فى صورة امرأة خائنه وبأنه يجب أن يقتلها بعد أن أخفى مشاعر الحب خلفه وصدر لها مشاعر الكره والغضب والالم.

ليرد عليه عمرو مباشرة :

* أعذرني

ولكن من يدرى ربما خانته بالفعل!

- لا لم تخونه

أحمد لم يحك لك القصة من البداية إذاً!

كانت هناك علاقة حب قوية تجمعهم فى إحدى القرى منذ طفولتهم، ولكن والد أمي رفض أبي فهربا معاً إلى المدينة وعاشوا حياة تغمرها الحب والسلام كما أرادوا.

كيف تخونه إذاً؟!

بعد أن هربت معه وضحت بكل شئ من أجله ومن أجل حبهما، كما أنها اقتصرت حياتها فى المدينة على أبي ووالدي أحمد فقط ولم تتقرب إلى أحد قط.

صمت عمرو للحظات وهو ينظر إلى الأرض، ثم قال :

* ولكن بالتأكيد هناك سبب جعله يشك بها الى هذه الدرجة.

ردعليه آدم قائلاً :

- بعد زواجهما تأخر الحمل لمدة ستة سنوات، هل تظن بأن هذا سبب يدفعه الى الشك؟!

مازال عمرو ينظر الى الأرض، وظهر عليه حالة من الحزن والألم فأجابه بصوت حزين :

* ربما، لا تستبعد شيئاً.

كل منا له تفكيره الخاص.

غير عمرو الحديث عن حادثة والدي آدم، ولم يرد آدم أن يمنعه حتى لا يشك فى شىء، ثم قال له عمرو :

لقد قاربت سن السبعة والعشرون ولم تتزوج بعد يا آدم، ماذا تنتظر؟!

ذكاء آدم وسرعة بديهته خدماه فى هذا الموقف ليجيبه مسرعاً بعد أن فكر فى شىء ربما سيجعله يبدأ بالحديث عن أسماء :

- لا تقلق

قريباً فأنا أحب فتاة وهى تبادلني نفس الشعور أيضاً منذ سنة تقريباً، وسأتقدم لها خلال أيام - إن شاء الله –

تحولت مظاهر الحزن والألم على عمرو الى فرحة بعد سماع ذلك الخبر، وهذا الأمر طمأن آدم بأنه أتخذه صديق له ولم يشك فى شىء على الأقل حتى الآن.

سأله عن اسمها؟

فأجابه :

- اسمها (روح)..!

حتى الآن لا يقدر على قول اسم سوى اسمها!

تحدثا لوقت طويل فى أمور كثيرة حتى رحلا، واكتفى آدم بما حققه معه فى هذا اليوم.

بدأت حالة عمر فى تحسن ملحوظ بعد أن بدأ يخرج من حالة العزلة التى سيطرت عليه طيلة سنواته تدريجياً واتخذ له صديق، واهتم بدراسته أكثر وحاول أن يطور من نفسه مع الوقت.

لم يتركه آدم، بل كان يتحدث معه باستمرار عن طريق الهاتف ويتابع حالته، ولكن بقى له أمر والديه، يجب بأن يهتموا به وبأن يشعر هو بوجودهم حوله.

لذلك كانت الأمور تسير بشكل جيد مع عمر ومع عمرو أيضاً، ولكن ظلت حالة عم حسن مبهمة له، بل حالته تسوء يوم بعد يوم بناءاً على حديث أمينة لـ آدم عن حالته وتطورها.

لم يقدر آدم على تقديم المساعدة وهو بعيد عنه، خاصة أنه لا يتحمل رؤيته وهو على هذه الحالة ولكنه كان ينتظر ظهور نجيب، لا يعلم ماذا سيحدث حينها ولكنه كان أمله الأخير وترك الأمر للقدر وحالته تزداد سوء هو الآخر بسبب نجيب والخوف من ردة فعله به أيضاً غير حالة الغضب منه من قبل آدم.

آدم كان يقترب من عمرو مع الوقت أكثر، حتى استطاع أن يصبح صديقه الأقرب له، بل يكاد أن يكون الوحيد.

وفى يوم كان آدم فى عيادته وبعد أن أنهى جلساته، اتصل به رجل وبدى من صوته بأنه رجل عجوز، وطلب منه أن يقعد معه بضع جلسات ولكن طلب منه بأن تكون الجلسات فى بيته هو ؛لأنه لا

يقدر على الذهاب للعيادة، نظراً لبعد المسافة وكبر سنه وبالمبلغ الذى يريد.

وافق آدم على طلبه، وحدد معه ميعاد الجلسة الأولى له بعد يومين.

على الجانب الآخر لم تكن روح سعيدة مع زوجها، لم تجد نفسها فى العالم الذى أرادت أن تكون بداخله، شعرت أنه يستغل نفوذ والدها فى عمله الخاص، بل ويستغل ثروتها أيضاً باسم أنه يشغلها فى عمله ليجني لها أموال مضاعفة، ولكنها لم تخبر والدها بذلك

ولماذا تخبره؟!

شعرت بأنها داخل سجن مظلم، تغذوه أشعة الشمس من بعيد على فترات، وما إن تصل إلى قضبان سجنها حتى تمد يدها خارجه وتغذي روحها بالأمل، لعل أشعة الشمس تصهر تلك القضبان لتنال حريتها من جديد!

آدم كان ولايزال أملها فى الحياة رغم ما حدث وبرغم زواجها، انتظرته منذ أن شعرت بحبه فى فترة الجامعة ولازالت تنتظره إلى هذه اللحظة..!

هكذا هن النساء دائماً كثيرات الأمل...!

تملك قلبها منذ يومهما الأول وإلى الآن يملكه وتأبي بأن يتملكه أحد سواه، خيانة بيضاء من نوع خاص من روح لزوجها بعد أن أصبح سجانها!

ذهب آدم إلى العجوز فى الموعد المحدد.

رجل عجوز أطلق لحيته وشعره، التجاعيد ظاهرة بقوة على وجهه وكأنها ترسم حياة مليئة بالألم والحزن عاشها ذلك العجوز.

هيئته ومنزله يدفعانك لتيقن أنه فقد لذة الحياة وأغلق أبوابها منذ زمن طويل وأنه لم يغادر هذا البيت منذ فترة كبيرة، ملابسه مرقعه، متسخه، يبدو عليه التعب والعجز، فقد كان جالساً على كرسي متحرك مما يدل على أنه تعرض لحادثة قوية، أو أنه مريض بالشلل.

هيئته وملامحه يجبرانك على تخيل ألف قصة وقصة لحياة ذلك الرجل، ويدفعانك إلى الفضول لسماع قصته بشغف طفل صغير لأمه.

رحب به العجوز، وبدأوا جلستهم الأولى معاً...

- هل تعيش فى هذا المنزل وحدك؟

* نعم، منذ فترة كبيرة.

- حسناً، مما تشكو؟

ابتسم العجوز، ثم قال :

* أنا لست مريض يا آدم

أعذرني، سأرفع الألقاب فأنا مثل والدك...

- بالطبع، ولكن لماذا أحضرتني الى هنا طالما لا تشعر بأنك مريض، فى الغالب لا يشعر المريض بمرضه ويعتقد أنه إنسان

طبيعى، ولكن المحيطين به هم من يشعرون بذلك ويتجهوا إلى الطبيب النفسى مباشرة دون تردد، ولكن أنت من طلبت مني الحضور!

لماذا، وكيف وصلت إلي؟!

المسافة بعيدة بيننا وأنت كما أرى لم تغادر هذا المكان منذ فترة طويلة، إضافة إلى أنك عاجز عن الحركة بمفردك.

نظر إليه العجوز وهو مبتسم، وأبدى عدم الاهتمام لأسئلته وحرك بيديه كرسيه المتحرك حتى وصل الى ركن من البيت يوجد به لوحة بيضاء مثبته على خشب وفى مستوى جلسته وألوان زيت، وأخذ يرسم ويتحدث إليه بهدوء مبتسماً :

* لا يهم كيف وصلت إليك يا آدم، المهم هو لماذا أحضرتك إلى هنا..

فسأله آدم عن السبب :

- لماذا :

فأجابه وهو لايزال يرسم :

* أريدك أن تقتلني ثم تدفن جثتي بعد موتي!

اندهش آدم من كلماته ووقف من على مقعده ومشي ببطء إليه وهو يحدث نفسه متسائلاً :

- من يكون ذلك العجوز؟!

وكيف وصل إلي؟!

حتى اقترب منه وهو يردد جملته الأخيرة كأنه يريد أن يتأكد مما سمعه :

- أريدك أن تقتلني ثم تدفن جثتي بعد موتي!

فأجابه العجوز بهدوء شديد :

* نعم، أريدك أن تقتلني ثم تدفن جثتي بعد موتي

ما المشكلة فى ذلك؟

شعر آدم بالغضب منه ومن طلبه الغريب، وقرر أن يرحل

أخذ أغراضه وعندما اقترب من باب البيت نادى عليه العجوز قائلاً :

* سأعطي لك عشرون ألفاً فى الجلسة الواحدة!

ازدادت دهشة آدم من ذلك العجوز بعد جملته الأخيرة

عشرون ألفاً فى الجلسة الواحدة!

غير طلبه الغريب!

أغلق الباب وعاد إليه، سأله مرة أخرى :

- ماذا تريد؟!

لا زال يرسم وهو يجيبه :

obeikan.com

* لا أريد منك أكثر مما أخبرتك، أنا وحيد وليس لدي زوجة ولا ابن ولا أهل، ولا أريد أن أستمر بهذا العالم

ليرد عليه آدم بغضب :

ولماذا أنا؟!!!!!!

لم يرد العجوز عليه وكأنه يتجاهل سؤاله حتى ترك الفرشاة وتحرك بكرسيه إلى المكان الأول.

لمح آدم اللوحة بطرف عينه دون اهتمام، ثم اندهش مما رسمه العجوز فأمسك بها بكلتا يديه وهو ينظر إليها متعجباً، لقد رسم العجوز وجه ممزوج بينه وبين آدم!

نصف الوجه من الناحية اليمنى كان نصف وجه آدم والنصف الأيسر كان نصف وجه العجوز، وكل منهما يبكى!

اندهش آدم من براعته، كيف استطاع أن يتقن رسم ملامحه بتلك الدقة رغم أنه لم ينظر إليه سوى دقيقة واحدة قبل أن يبدأ الرسم، بل أكثر من ذلك فقد رأى آدم نفسه حقاً وليس مجرد رسم على ورق.

رأى مشاعره الحزينة وآلامه وأوجاعه تنبعث من تلك اللوحة، كأنه عاش بداخله لسنوات!

رأى اللوحة كأنه وجه واحد بالفعل، نفس الشعور والتفاصيل، ذلك الأمر ذاد من رغبته فى معرفة من هذا العجوز بعيداً عن طلبه الغريب وبعيداً عن المال.

ترك اللوحة مكانها وعاد هو الآخر إلى مكانه الأول، ثم أخبره بهدوء :

- حسناً

قبلت طلبك، ولكن متى؟

* ستزورني يوم واحد من كل اسبوع إلى أن أخبرك بأن الوقت قد حان.

- وأين أدفن جثتك؟

شاور العجوز بأصبعه إلى غرفة فى آخر البيت وهو يقول :

* هناك فى تلك الغرفة، احفر بها وضع جثتي ثم اردمها وارحل ولا تعد إلى هنا مطلقاً...!

شعر آدم بأنه يحلم، بل داخل كابوس مخيف ويريد أن يستيقظ منه بأسرع وقت، صمت ولا يعلم بماذا يرد عليه ولا على طلبه الغريب هذا؟!

ولكنه وافقه على كلماته لرغبته فى معرفة ذلك العجوز أكثر، فسأله :

- ولكن ماذا سنفعل أثناء زيارتي لك؟

احك لي عنك إذاً...

ضحك العجوز بصوت مرتفع، ثم قال :

obeikan.com

* حياتي!

لا، لن أحكي لك عن حياتي.

ولكننا سنلعب معاً حتى يحين موعد وفاتي...!

تعجب آدم من كلماته أكثر!

كيف سنلعب؟

أعطى العجوز له عشرون ألفاً، ثم قال له :

* هذا ثمن وقتك لي اليوم، وفى الأسبوع القآدم إذا لم يحن وقت وفاتي سنبدأ اللعب...

رحل آدم وبقى عقله مع ذلك العجوز

عاد إلى البيت، ثم جلس فى ركنه المفضل من البيت بعد أن أعد فنجان قهوته وأشعل سيجارته وهو يفكر فى ذلك العجوز الذى اقتحم حياته فجأة دون أن يعلم عنه شيئاً حتى إنه لا يعلم اسمه!

شىء ما يجذبه فى ذلك العجوز، لا يصدق أنه وافق على طلبه الغريب، لا يعلم كيف وصل اليه، ولماذا هو خصيصاً؟!

من ذلك الرجل؟!

انتظر لقاءهما الثانى ليعرف إجابة ذلك السؤال، وما اللعبة التى سيلعبونها معاً!

وبينما هو شارد بذهنه فى ذلك العجوز والحديث الذى دار بينهما، تلقى رسالة هاتفية من أسماء تخبره بها أن حالة عمرو تدهورت أكثر، امتنع عن الحديث معها نهائياً غير نظراته لها التى تقتلها يوم بعد يوم.

اتصل به على الفور، كان لا يزال فى المصنع وطلب منه الحضور إلى بيته بعد العمل، وبالفعل جاء إليه، لاحظ عمرو حالة حزن كبيرة مسيطرة على آدم فسأله عما حدث فأخبره بأنه تقدم إلى والد روح ولكنه رفضه.

بدأ آدم يتحدث معه عن حياته العصيبة حتى حرك مشاعر الحزن التى تسكن عمرو، وما إن فتح آدم الحديث عن حادث والدته وقصة والديه الأليمة مرة أخرى حتى انفجرت مشاعر الحزن التى كان يخفيها عمرو وراء وجه بشوش هادئ وتساقطت دموعه بغير إرادته!

رحل عمرو دون أن ينطق بكلمة واحدة بعد أن مسح دموعه بيديه، ولم يمنعه آدم، بل تركه يذهب بعد أن حقق ما أراد اليوم، فقد علم بأن معرفة سبب شكه بأسماء أصبح أمراً يسيراً.

وفى صباح اليوم التالى ذهب آدم الى والد عمر فى القسم الذى يخدم فيه، عرفه بنفسه وانصدم والده بعد أن علم أن ابنه يعالج عند طبيب نفسى، أخذ منه ميعاد فى اليوم التالى ليتحدثا بحرية بعيداً عن مكان العمل، وأخبره آدم بضرورة كتمان هذه المقابلة لمصلحة عمر ووافقه والده على ذلك.

حضر آدم فى الموعد ووجد والد عمر فى انتظاره، اطمأن آدم من أنه لم يخبر عمر بشىء أولاً، ثم سأله والد عمر عن السبب الذى دفع ابنه للذهاب الى دكتور نفسانى ؟!

فقال له؟

- عمر يعاني من حالة اكتئاب قوية، هذه الحالة خلقت بفعل كثرة المشاكل التى حدثت بينك وبين زوجتك وإهمالكم له منذ صغره، هذه الحالة وصلت إلى ذروتها معه فهو الآن لا يشعر بشىء قط، لا يشعر بالحب أو بالكره اتجاة احد كما انه استسلم استسلام تاماً لتلك الحالة.

الاكتئاب هو مرض صحى خطير يشمل الدماغ وهو أكثر من مجرد الشعور بالشدة النفسية لبضعة أيام، فإذا أصيب الإنسان بأحاسيس تشبهه ما يحسه ملايين البشر المصابين بالاكتئاب فإن هذه الأحاسيس لن تزول من تلقاء نفسها بل ستدوم وتعرقل سير الحياة اليومية للشخص المصاب بالاكتئاب.

يمكن أن تتضمن أعراض هذا المرض فى :

(الشعور بالحزن الدائم - تغير الوزن - صعوبات فى النوم أو الاستيقاظ – هبوط فى الطاقة – الإحساس بعدم القيمة – أفكار حول الموت والانتحار – الهروب من الواقع إلى عالم آخر مصطنع)

عمر تعدى كل هذه الأعراض ودخل فى مرحلة عدم الشعور بأحد وحتى الشعور بنفسه!

سأله والد عمر :

* ولكن كل هذا بسبب المشاكل التى كانت بيني وبين والدته؟!

- لا، ليس هذا هو السبب الوحيد.

عادة يخرج المريض من تلك الحالة بفعل المحيطين به من رعاية واهتمام حتى إنه لا يحتاج الى تدخل طبى ولا إلى الأدوية المضادة للاكتئاب، ولكنه لم يجد ذلك منكم، بل وجد نفسه وحيداً فى هذا العالم منذ صغره.

سأسألك سؤال بسيط جداً لأؤكد لك صحة كلامي :

ماذا تعرف عن عمر؟

تعجب والد عمر من هذا السؤال الغريب، ولكنه صمت ولم يستطع الإجابة رغم بساطة السؤال، فأكمل آدم :

- سأسمعك بعض من كلماته إذاً لتعلم كيف وصل به الحال!

شغل آدم شريط الصوت الخاص لجلسات عمر، وبدأ والده يستمع إلى كلماته وهو يقول :

(كل ما فى الأمر إنى لا أشعر بشىء

لا أعرف معنى الفرح ولا الحزن حتى، لا الندم ولا الحب، أشعر بأني وحيد فى هذا العالم، أشعر بأن هذا الكوكب بأسره لا يوجد به مخلوق سواي.

عالمي بسيط جداً ولكنه كل ما أملك

يقتصر على فنجان قهوتي وسجائري والموسيقي الهادئة وبعض الكتب والروايات لا أكثر من ذلك، لا أشعر بالحياة إلا فى غرفتي بعد أن أطفئ الأنوار ولا أبقي منها غير ضوء خافت لأرى دخان سجائري وهو يرتفع أمام عيني وأشكله بأصبعي ببطء وأمامي فنجان قهوتي وأنا أستمع إلى الموسيقي.

كثيراً ما كنت أسرح فى عالم آخر، فى عالم أتقمص خلاله دور شخصيات مختلفة مرة أتقمص دور رجل الأعمال الغني، ومرة ممثل مشهور، ومرة مطرب وغيرهم، وفى كل مرة أتقمص فيها الشخصية بالتفاصيل وأظل على هذه الحالة لساعات حتى أستيقظ على عالم ضرير مُمل لا يوجد به غير ما لا أريد.

قاطعه آدم ليسأله :

- وماذا تريد؟

صمت عمر لفترة قاربت الدقيقة حتى قال :

* لا أعلم ماذا أريد!

أحياناً أشعر بشيء ما ينقصني، ربما ينقصني أن أعيش، أن أشعر بكل شيء حولي، ربما ينقصني أنا!)

أوقف آدم الشريط ودموع والد عمر بدأت تنهال بكبرياء رجل صلب ولم يعقب على تلك الكلمات، ليشغل آدم بعضاً من حديث الجلسة الثانية :

(ومنذ ذلك الوقت بدأت المشاكل تقتحم حياة والدي وتأثرت كثيراً بها كما أخبرتك فى الجلسة السابقة، ونتيجة لذلك انعزلت عنهم مع مرور الوقت وكثرة المشاكل ووجدت منهم الترحيب لتلك العزلة دون لوم!

وصلت إلى الصف الثاني الإعدادى وأنا مازلت على هذه الحال واقتصرت حياتي على كتبي وغرفتي دون أدني اهتمام من أحد، ولكن ظلت (أروى) متنفسى الوحيد فى الحياة فى تلك الفترة.

- من أروى؟

* أروى كانت زميلتي فى المدرسة من الصف الأول الابتدائي إلى هذا العمر، كنا نذهب إلى المدرسة كل يوم ونعود معاً، كانت حب طفولتي إلى أن جاء هذا اليوم.)

جرى آدم الشريط قليلاً، ثم شغله :

(كنا نسير بجانب الطريق، وكانت وهى تغني وتمشي وكأنها تقفز بخفة ودلع تقترب من منتصف الطريق دون أن تدري، أما أنا فكنت هائماً فى ضحكتها وحركاتها إلى أن صدمتها سيارة...!

نظر إليه آدم نظرة طويلة وهو يتألم معه كأنه هو من عاش تلك اللحظات، ولكنه لم يقاطع حديثه ليكمل عمر :

تجمع الناس حولها وحملوها فى تلك السيارة وذهبوا بها إلى المستشفى وأنا لم أتحرك من مكاني، وكأن قلبي تجمد حتى عجزت عن الحركة، ولم أر أمامي غير ضحكتها وهى تنظر الي.

شعرت بأني عاجز وأن عمري اقترب فجأة من السبعين بعد أن عجزت عن إنقاذها وبعد أن وقفت مكاني دون حراك ولم أحتمل تلك الصدمة.)

أوقف آدم الشريط، ثم نظر إلى والد عمر ليرى بوضوح على وجهه الحزن والألم والندم أيضاً وهو ينظر إلى الأرض مختبئ فى أعماق جسده، ثم قال له :

* أنا لا أعلم شيئاً عن هذا الحادث!

لم يخبرني.

فقال آدم له :

- وهل تعتقد أنه هو من سيأتي إليك ويخبرك بشيء كهذا وهو فى مثل هذا العمر؟!

لقد كنت منشغلاً بحياتك أنت ونسيت بأنه جزء كبير منها، انشغلت بمشاكلك مع زوجتك وبعد أن انفصلت عنها انشغلت بعملك وتركته وحيداً فى هذا العالم وهو فى مثل هذا العمر.

صمت والد عمر للحظات، ثم بدأ يتحدث بصوت حزين مكسور وهو مازال ينظر إلى الأرض :

* كان يجب أن ننفصل...

لم أكن أحبها ولا هى أيضاً، أعلم بأن الحب ليس كل شىء، وليس هو الأساس الذى يبنى عليه العلاقة، ولكن لم يكن بيننا تفاهم ولم يضح أحد منا من أجل الأخر.

كان يجب أن ننفصل.

أعلم بأننا فكرنا فى أنفسنا ولم يضح أحد منا من أجل عمر، ولكن هذا ما حدث، ولم أكن أتوقع أبداً بأن يصل عمر إلى تلك الحالة!

قاطعه آدم قائلاً :

- وها قد وصل إلى تلك الحالة.

دعنى لا نتطرق إلى الحديث عن الماضى الآن ولنفكر فى القآدم حتى لا يسرقنا الوقت.

استطعت بأن أخرج عمر من تلك الحالة على قدر استطاعتي، ولكن لن أقدر على مساعدته أكثر من ذلك فهو لا يحتاج إلي الآن، بل يحتاج اليك أنت...

عمر بدأ يخرج من عالمه الباهت ومن عزلته وسيخرج منها مع الوقت أكثر، ولكن أخشى عليه من أن ينفتح على العالم كلياً دون حظر ولا حواجز ولا حدود رغم ذكائه الشديد، فعندما يسجن شخص لمدة قاربت العشرين عاماً فى سجن مظلم، ثم يفتح له باب السجن فجأة دون تأهيل نفسى بالتأكيد سيدمر نفسه دون وعى حتى يمتلئ كلياً بالخيبات ولن يمضى الكثير حتى يعود الى سجنه بإرادته وباستسلام تام، وحينها لن يخرج منه أبداً، ولن يستطع أحد مساعدته لا أنا ولا ولا أنت...!

اهتم به وأتخذه صديقًا لك

احكِ له عن حياتك، ذكرياتك، مشاكلك، أخبره بمقدار حبك له، أعلم أنك تحبه رغم إهمالك له فهو قطعة منك، حرر الإنسان الذى يسكنك وأنت معه وأشبعه بعطفك وحنانك، اجعله يشعر بالأمان وبأنك ظهره الصلب.

ولا تقلق فهو لن يعاتبك على إهمالك له طوال هذه السنوات، بل سينسي كل هذا عندما تأخذه بين أضلاعك وتخبره بمقدار حبك له، ابق على اتصال معه فى كل شىء، اعلم أين يذهب ومن هم أصدقاؤه ولا تجعله يفتح أبواب عالمه على مصرعيه لأنه غير مؤهل لهذا بعد، ولا تقلق سأبقى معك على اتصال.

لا تفعل كل هذا دفعة واحدة حتى لا يشك فى شىء وانتبه لكلماتك معه حتى يعلم أن هذا التغيير الكبير من داخلك أنت فهو ذكي إلى حد كبير، واعلم والدته بلقائنا هذا والحديث الذى دار بيننا بالتفصيل، ولكن المهم أن لا يشك بأننى سبب هذا التغيير وإلا سيذهب كل هذا سدى.

وافقه والد عمر على هذا، وشكره على ما فعله مع ابنه ووعده بأنه سيبقى معه على اتصال، ثم رحل.

بمجرد رحيل والد عمر، اتصل آدم بـ عمر

اطمأن عليه وأخبره عمر بأن الأمور تسير بشكل جيد وأصبح لديه عدد لا بأس به من الأصدقاء الآن وحياته النفسية تتحسن بشكل ملحوظ.

فقال له آدم :

اسمعني جيداً يا عمر

كما أخبرتك من قبل فى الجلسة الأخيرة

إذا أردت أن تعايش هذا العالم بسلام يجب أن لا تتعمق فى تفاصيل كل شيء كما تفعل، بل خذ الأمور من أعلى نقطة ؛ لأن التفاصيل دائماً مرهقة وتكشف لك مالا يسعدك، ولا تهتم بما يخفى عنك، بل خذ الظاهر من الأمور وأقم العلاقات عليه.

واجعل بينك وبين الناس مسافة كافية بحيث لا تقتربك منهم ولا تبعدك عنهم أكثر من اللازم.

وكما أخبرتك قد نخطئ ونندم على أشياء كثيرة، ولكن أصعب ما قد نندم عليه هى خيبات من أشخاص اخترناهم بإرادتنا، ولكن أخطأنا فى نظرتنا إليهم، وهذا سبب أصيل يدفع معظمنا إلى الاكتفاء بأنفسنا دون أحد بسبب اختياراتنا الخاطئة.

افهم ما سأقوله لك جيداً يا بني :

إياك، إياك أن تهدم السور الذى بنيته بينك وبين البشر كلياً، لأنك باختصار ستبنى سور أعلى، أعلى بكثير حتى إنك لن تستطيع رؤية نهاية ظله...!

حاول أن تقترب من والدك، فإن كانت هذه طباعه اكسرها أنت يا عمر وعندما تقترب منه شبراً سيتقرب إليك ذراعاً، وسيكون أفضل صديق لك وليس والد فقط.

ولا تنس أن تترك بصمتك بهذا العالم...

وبعد أن أنهى معه المكالمة شعر بالراحة بعد أن تحسنت حالة عمر ووكل أمره إلى والده، وبقى لديه عم حسن وحالته التى تزداد سوء يومًا بعد يوم، وعمرو بعد أن اقتحم عالمه وسيبدأ قريباً معرفة أسباب حالته تلك وحالة الشك المسيطرة عليه، ولكن أكثر ما كان يشغل تفكيره هو ذلك العجوز الذى لا يعلم عنه شيئاً حتى الآن!

قابل آدم عمرًا بعد يومين فى المصنع واتفق معه بأن يجلسا معاً فى بيت آدم فى هذا اليوم بعد أن ينهى عمرو عمله، وبالفعل عاد معه إلى البيت وحاول عمرو أن يذهب إلى شقة أحمد ليجلس معهم ولكن آدم فهم الأمر أنه يخشى من أن يسأله عن سبب بكائه فى ذلك اليوم وأخبره بأن أحمد عاد من المكتب متعبًا ونام فقد اتصل به وهو عائد إلى البيت.

بعد أن تحدثا قليلاً عن العمل والمصنع وحالته التى تحسنت بعد الحريق الذى نشب به بفضل جهود أحمد وعمرو، سأله آدم السؤال الذى كان يخشاه عمرو :

- لن أتركك حتى تخبرني سبب بكائك فى المرة السابقة، لماذا بكيت؟!

حاول عمرو التهرب من من الإجابة، ولكن آدم أصر على معرفة إجابة سؤاله، فاستسلم له وجلس على الأرض سانداً ظهره على الكرسى وأشعل سيجارة وبدأ يحكى :

* لا تظن بأنك وحدك من يشعر بالحزن وكسرة القلب فى هذا العالم يا آدم

لكل منا ما يؤلمه ويكسر قلبه وظهره ليمشى منحنيًا أمام الناس!

منذ صغرى وأنا أعشق الشعر والروايات الرومانسية، أقمت علاقات كثيرة لا عدد لها مع النساء، ولكني لم أحب واحدة منهن قط.

أشعل آدم مسجل الصوت الصغير الذى كان فى جيبه دون أن يدرى عمرو واقترب منه بعد أن جلس على الأرض بجانبه، ثم سأله :

- لماذا تقيم علاقة مع امرأة وأنت لا تحبها إذاً؟

* من أجل الحب يا صديقي...

أنا أعشق الحب ذاته، أتفهمني؟

أنا أقيم العلاقات التى تسمح لي بمزاولة ذلك الشعور الرائع الذى يجعلني أحب وأهتم وأغير، ولم يتمثل ذلك الشعور فى امرأة بعينها.

بمعنى آخر أنا لا أحب تفاصيلها، وجمالها ولا روحها، ولكن أمارس معها الحب ولم ألمس واحدة منهن قط، قدرتي على جذب النساء بنظراتي وكلماتي التى تكتب فى ألف ديوان وديوان كانت تساعدني فى ذلك الأمر.

فى كل علاقة كنت أدخل بها كانت وكأنها أول مرة لي أقابل امرأة وأول مرة لي أشعر وأمارس الشعور بالحب، وكنت صادقاً

معهن جميعاً ولم أخن واحدة منهن فقد كنت أحرص على أن تكون أركان الحب مكتملة حتى أتلذذ بالشعور به...!

صمت آدم للحظات وهو متعجب من كلماته!

ليكمل عمرو قائلاً :

* لا تتعجب يا آدم فلكل منا شهوة، وشهوتي هى ذلك الشعور حتى إنه أصبح طعامي وشرابي فى هذا العالم.

ألم تقل لي ذات مرة بأنك قرأت كتب كثيرة فى علم النفس؟

إذاً ما تفسيرك لهذا الأمر؟

نظراته وهو يسأله هذا السؤال أسكبت فى قلب آدم الخوف، بداوكأنه يخبره ويقول بعينيه (أنا أعلم من أنت)!

ولكن تهرب آدم بذكاء وقال له :

- لا أعلم

أنا لم أقرأ عن هذه الحالة أبداً يا عمرو، ولكن أخبرني

ماذا حدث بعد ذلك؟

* ظللت على هذه الحالة فترة طويلة إلى أن قابلتها!

- من؟

* تلك المرأة التى كانت تسكن فى حارتنا، لا أعلم كيف لم أرها

obeikan.com

من قبل؟!

وأين كانت تختبئ؟!

كنت عائداً من عملي القديم، كان بعيداً عن البيت فى محافظة أخرى، فكنت أقضى خمسة أيام فى العمل وأعود إلى البيت يومين، وفى ذلك اليوم لمحتها من بعيد فى آخر الشارع، كانت تسير فى اتجاهي، شممت رائحتها من بعيد ونقشت تفاصيلها فى ذاكرتي بقوة، وفى كل خطوة كانت تقرب المسافة بيني وبينها كانت نبضات قلبي تتسارع وتنفتح عيني على وسعها حتى تملأها بتفاصيلها وسحرها!

لم أنس ولن أنسى ذلك الإحساس الذى شعرت به عندما اقتربت المسافة بيننا إلى أن أصبحت بجانبي، شعرت بأن الزمن توقف وتوقف معه كل شئ إلا أنا، وأخذت أدور حولها وأتأملها دون ملل.

شعرت بأن بها شيئًا ما مني أنا، بل شعرت بأنها أنا وبأن كل شىء بها ملكي أنا من خصيلات شعرها إلى أظافر قدميها.

لم أستعد وعيي إلا وظلها يصغر حتى اختفت من أمامي، لم أكن أعلم عنها شيئاً، ولكن علمت بأنني لم أشعر بالحب قبل وبأن تلك المرأة هي ما كنت أبحث عنها طيلة حياتي، كانت أول وآخر امرأة تجذبني وتحرك بداخلي كل شىء وكأنها خلقت بقلبي بركان!

لم يهدأ لي بال حتى جمعت عنها المعلومات التى تهمني، وعلمت بأنها خُطبت لرجل ثري ولكن النصيب لم يجمعهما معاً، حاولت أن أتقرب إليها ولكنها كانت تتهرب مني ليس لشىء غير تربيتها

الصالحة وأدبها، سعدت كثيراً بذلك الأمر وتقدمت لخطبتها ووافق أهلها ووافقت هي أيضاً.

شعرت بأني أملك العالم وما فيه حينها، سعدت بها وأحببتها حقاً!

كانت أسعد أيام حياتي التى أمتلأت بالحب الحقيقي الذى اقتحم قلبي دون إرادتي، تزوجنا بعد خمسة أشهر فقط من الخطوبة ورزقنا بطفل، وكانت الأمور تسير بشكل أكثر من رائع وأخذتها معي إلى مكان عملى وقمت بإيجار شقة هناك وعشنا بها معاً بسعادة كبيرة إلى أن ظهر ذلك الرجل فى حياتها مرة أخرى!

علم آدم الرجل الذى يقصده، وتعجب من عدم إخبار أسماء له بذلك الأمر، ولكنه سأله :

- من؟

أشعل عمرو سيجارة أخرى واستنشق دخانها بقوة بعد أن بدا عليه الغضب والألم، ثم قال :

* خطيبها الأول...

كنت عائداً من العمل فى ذلك اليوم ورأيته خارجاً من باب البيت الذى به شقتي، لمحته من بعيد ولكنه لم يرني، علمت أنه خطيبها الأول فقد كان يسكن فى الحارة المجاورة لنا (المجاورة للحارة التى بها بيت أهلي وبيت أهل أسماء).

وحينما كنت أجمع المعلومات عنها علمت أنه هو خطيبها الأول، فقد رأيته أكثر من مرة من قبل، ولكنه يعمل مهندسًا فى إحدى دول الخليج فكان يسافر باستمرار.

خانتني يا آدم!

كانت تخونني كل هذا الوقت دون أن أدري، وأنا كنت أرد إليها تلك الخيانة بحبي لها وحناني ولهفتي عليها دون ملل، ولكن لماذا؟!

صمت آدم ولا يعرف بماذا يجيب!

لا يعلم إن كان يقول الحقيقة أم لا، ولكن أسماء لم تخبره شيئاً كهذا!

سأله :

- وماذا فعلت بعد أن رأيته خارج من البيت؟

* لم أعرفها بأنني رأيته وهو خارج من البيت، لا أعلم السبب ولكنني ربما خشيت من عذاب فراقها بعد أن بحثت عنها طيلة سنوات عمري، لا أعلم كيف فكرت بهذه الطريقة وقبلت خيانتها لي باستسلام تام، كنت جباناً ولازلت فأنا لا أستطيع فراقها!

بكى بعد كلماته تلك، كان مثل الطفل الذى يخشى من فراق أمه عنه لدقائق معدودة!

سأله آدم :

- ولكن ربما لم يكن يعلم بخبر زواجها طوال فترة غيابه، وعندما علم حاول أن يلوما أو شيء كهذا، لماذا تجزم بأنها خانتك؟!

بعد أن مسح دموعه وهدأ قليلاً قاله له :

* إذاً لماذا لم تخبرني عندما عُدت إلى البيت؟!

وكيف علم بمكان البيت؟

بالتأكيد خانتني، ولم تكتفى بذلك بل تعتقد بأني مريض نفسى، منذ ذلك اليوم ومعاملتي معها تغيرت وظهر على تصرفاتي معها دون إرادتي أنني أشك فيها، وأقنعت عائلتي بذلك أيضاً!

حتى إنها تركت البيت لفترة وذهبت إلى بيت والدها بالتأكيد لتبقى بالقرب من خطيبها الأول، ولكن أبي عرض علي فكرة العمل فى هذا المصنع ووافقت وتركت العمل هناك وجئت إلى هنا، ثم عادت إلى البيت بعد أن اتخذت بيتًا قريبًا من أهلي وأهلها ومن المصنع أيضاً.

وأثناء حديثهما اتصلت أسماء على عمرو لتطمئن عليه، فقد تأخر عن موعد عودته، ورحل بعد أن أنهي معها المكالمة ووعده بأن يكمل معه الحديث فى وقت آخر.

وبعد أن رحل عمرو اتصل آدم بأسماء مباشرة وأخبرها بأن تقابله فى العيادة غداً صباحاً بعد ذهاب عمرو الى المصنع.

حضرت أسماء فى الموعد وبعد أن علم منها تطور حالة عمرو ومعاملته معها شغل الشريط الذى سجله له أمس وأسمعها حديث عمرو بالكامل، وعندما انتهى الشريط سألها :

- لماذا لم تحكى لي هذا الأمر من قبل؟

وهل فعلاً خنتيه أم لا؟

لا تكذبي علي حتى أستطيع مساعدتكِ.

بدا عليها التوتر وعلامات التعجب وكأنها لا تعلم شيئاً عن هذا الأمر حتى قالت له :

* ما هذا الكلام الغريب!

كريم لم يكلمني منذ أن فسخت خطوبتنا ولم أره من وقتها ولا حتى صدفة!

صمت آدم لدقيقة ولم يرد عليها وأشعل سيجارة رغم أنه لا يدخن فى العيادة خصوصاً فى وجود المرضى، ولكنه بدا عليه التعب وكأنه يحل لغز صعب، رغم أنه يعلم أنها صادقة فى قولها فهو بارع فى اكتشاف الكذب وقراءة لغة الجسد، سألها :

- من ذلك الرجل إذاً الذى رأه؟

* لا أعلم

البيت الذى كنا نسكن فيه به سبعة شقق، واحدة فى الدور الأرضى وشقتان فى كل دور، ربما كان فى إحدى الشقق خصيصاً أنه قال انه رأه من بعيد، بالتأكيد ليس كريم فهو لم يعد من السفر حتى هذه اللحظة منذ فسخ خطوبتنا!

لذلك لا يمكن أن يكون هو، وإن كان هذا الأمر هو سبب شكه بي فهو أمر بسيط يمكن أن يتأكد من عائلته أو من أى شخص من الحارة من أصدقاء كريم مثلاً.....

أوقفت حديثها بسبب نظرات آدم اليها، نظر اليها نظرة غريبة وكأنها قالت شيئاً خطأ أو يؤكد شك عمرو، سألته ما بك؟!

فقال لها :

- كيف عرفتي أنه لم يعد من السفر حتى هذه اللحظة منذ فسخ خطوبتكما؟!

فهو لم يكن يسكن فى حارتكِ، بل فى حارة مجاورة كما أنكِ لم تزوري أهلك إلا مرات قليلة منذ زواجكِ، كل ثلاثة شهور يومين لا أكثر كما علمت من عمرو

صمتت ولم تستطع الرد!

طلبت منه سيجارة من علبته وأعطاها واحدة وأشعلتها، ظهر عليها أنها لم تكن المرة الأولى التى تدخن بها، ثم قالت له :

كان هناك قصة حب قوية جمعت بيني وبين كريم لخمسة سنوات إلى أن تقدم لخطبتي ووافق أهلي وشعرت حينها بأن الحياة ابتسمت لي أخيراً وبأنني سأتزوج من الشخص الذى اخترته بإرادتي على غير العادة، واستمرت خطوبتنا لسنة وشهرين تقريباً، وقد كان زفافنا بعد شهرين فقط!

- وماذا حدث؟

* مشاكل صغيرة تافهة فرقت بيننا، ومن هذه المشاكل أنه كان يريد أن يأخذني معه ونسافر بعد زواجنا مباشرة إلى البلد الذى يعمل بها، ولكن والدي رفض وأنا أيضاً رفضت فأنا أحب أهلي كثيراً كما أنني ابنتهم الوحيدة وكنت أرعاهم وأهتم بهم، واقترحوا عليه العمل هنا ولكنه رفض نظراً للفارق المادى الكبير، ومن هنا بدأت المشاكل تظهر مشكلة تلو الأخرى حتى فسخت خطوبتنا.

كريم شخص عصبى جداً إلى أبعد الحدود وعناده هو من أوصلنا إلى هذه الحالة، ولكنى كنت أعلم بأن هناك وراء هذا الرجل الغاضب القوى إنسان بسيط حنون يحبني بكل معنى الكلمة، ولكن أهلي لم يعلموا ذلك.

بالتأكيد لم أنس كريم ولن أنساه إلى اخر نفس فى حياتي، وكيف أنساه!

نفتش بداخلنا كالحمقى تماماً وبجنون على لحظات أسعدتنا وأدخلت الأمل والسرور إلى أعماقنا ولا نجد غير الحب، الحب الذى إذا دخل قلب يمتزج بأضلاعه ودمائه ولا يخرج منه أبداً ما حيينا، الحب هو الذكرى الحلوة التى نحتفظ بها لأنفسنا فى أوقاتنا الصعبة والأليمة...!

كيف أنساه؟!

تزوجت من عمرو بإرادتي بعد أن تقدم لي وكنت أعامله جيداً وهوأيضاً كان يعاملني بشكل رائع ولم يضايقني بكلمة واحدة طوال

الأربع سنوات، وأعلم أنه يحبني بصدق وفى مقابل هذا الحب الكبير كنت أعامله جيداً وتقبلته بارتياح كبير ولم أخنه أبداً.

ولكن لي أصدقاء فى حارتنا يعلمون بقصتي أنا وكريم بالتأكيد، فكانوا ينقلون إلي أخباره من أخته وكنت أستسلم لهذا الأمر استسلامًا تامًا دون إرادتي، وكل ما كنت أتمناه هو أن أراه سعيداً فقط لا أكثر من ذلك.

لا أستطيع نسيانه وأعلم بأن هذا الشعور هو خيانة بما أنني متزوجة، ولكن أعتقد بأنها أدنى أنواع الخيانة، فلم تبنى عليها أفعال سيئة مني ولم أُشعر عمرو بها قط ولا بحقيقة مشاعرى.

الحب يراودنا مرة واحدة فى العمر يا دكتور آدم

ولا وجود لتلك المسميات الغريبة التى تترددعلى أذهاننا هذه الأيام من حب ثانٍ وثالثٍ ورابع أيضاً..!

الحب هو شعور له كبرياء من نوع خاص، فلا يسكن قلوبنا سوى مرة واحدة فقط، ولا يخرج منه إلا مصاحباً لأنفاسنا الأخيرة، بل للنفس الأخير.

الحب أشبه بملك الموت والاختلاف بينهما بسيط جداً، فملك الموت ينزع أرواحنا مرة واحدة، والحب ينزع قلوبنا مرة واحدة أيضاً، وكلاهما لا يراودنا سوى مرة واحدة...!

ومع ذلك كما أخبرتك لم أخنه، وعاملته جيداً كزوجة صالحة لأنني ببساطة أريد أن أعايش هذا العالم بسلام.

صدقني هذه هى الحقيقة...

رحلت أسماء بعد أن شرحت له حقيقة شعورها اتجاة كريم وعمرو، شعر بالأسى والحزن ليس عليها فقط، بل على روح أيضاً وهو يعلم جيداً أنها ليست أقوى من أسماء لتتقبل هذا الوضع باستسلام تام مثلها، بل مثل معظم البشر فى هذا العالم الذى تحمه عادات وتقاليد بغيضة يستغلها القدر بإرتياح تام.

ولكن روح بالرغم من ضعفها إلا أنه يعلم بأنها ستتمرد على هذا العالم مهما طال الوقت ليس رفضاً للقضاء والقدر، بل أملاً بأن القآدم أفضل وبأن الحياة لابد أن تبتسم لها فى يوم ما تجهله!

عم حسن أصبح فى حالة فقد اتصلت به أمينة أكثر من مرة وتخبره بأنها تسمع صرخاته من حين إلى آخر وعندما تدخل الغرفة عليه تجده ملقى على الأرض ويبكى ويشاور بأصبعه على ركن فارغ ويخبرها بأنه رأى رأس التمثال الذى اختفى من ذلك البيت معلقًا على الحائط، ولكنها لم تر شيئاً حتى إنها بحثت عنه ولم تجده، ولا أحد غريب يدخل إلى البيت.

ذهب إليه آدم

دخل غرفته ولم يتغير حاله فقد كان جالساً على مقعده الذى يتواجد أمام باب الغرفة مباشرة، أخذ مقعد صغير وجلس أمامه مباشرة، ثم سأله :

- أين تجد رأس التمثال يا أبي؟

شاور عم حسن بأصبعه إلى ركن فى الغرفة، ثم قال :

* هناك، وعندما أخرج لأمينة وأنتظرها بالخارج وتدخل هى لتراه ثم تخرج إلي وتقول لا يوجد شىء وأدخل إلى الغرفة مسرعاً لأجده اختفى!

بكى وهو يتحدث مع آدم وجسده يرتعش بقوة وبدا أنه تخطى حالة الخوف لتصل إلى الرعب من نجيب ومن ذلك التمثال.

حاول آدم أن يهدأه وسأله :

ـ لماذا اشتريت ذلك البيت يا أبي؟!

أنا لا أصدق أنك اشتريته لسبب الذى أخبرتني به!

صمت عم حسن قليلاً وعادت دموعه تتساقط وعادت تلك الرعشة تتملك جسده مجدداً، ثم قال له بصوت مكسور :

* كنت أكذب عليكم جميعاً!

نجيب كان يعمل مع صديق له فى السياحة فى إحدى القرى المجاورة له والمليئة بالمعابد والمقابر التى لم تكتشف بعد، وجدا مقبرة هناك ولم يستطيعا فتحها فاستعانا سراً بأكثر من شيخ وساحر حتى فتح تلك المقبرة ساحر من المغرب كان يقيم هناك، ولكنهم لم يجدوا بها سوى تمثال صغير!

أعتقدا بأن الساحر خدعهما وسرق المقبرة دون علمهما بطريقة ما أقرب إلى السحر والاستعانة بالجان وأخبرت نجيب بهذا الأمر عندما حكى لي هذا الأمر.

اختلف نجيب وصديقه على من يأخذ التمثال واتفقوا على بيعه وتقسيم المال مناصفة بينهم، ولكن نجيب طمع فيه وقتل صديقه وأخذ التمثال ووالدتك وهرب إلى هنا.

كنت على علاقة برجل يعمل فى هذه الأشياء وأخبرت والدك عنه، ولكنه لم يأمن لي وحتى إنه لم يخبرني عن مكان التمثال....

وبعد هذا الحادث اختفى نجيب اعتقدت أنه كان يخبئ التمثال فى مكان بالبيت فاشتريته مسرعاً لأن مالكه كان سيبيعه لشخص آخر وبحثت فى كل مكان به حتى إنني حفرت فى الأرض فى أماكن كثيرة ولكني لم أجد شيئاً!

تذكر آدم الحفر الكثيرة التى وجدها فى البيت عندما ذهب إليه أول مرة ولم يكن يعلم سببها!

أكمل عم حسن قائلاً :

* أتتذكر اليوم الذى خرجت به من البيت دون أن أعلم أحداً سبب ذهابي ومصقدي وتأخرت يومها وعدت وملابسي متسخة؟

- نعم أتذكر ذلك اليوم، ولا أعلم إلى أين ذهبت فى ذلك اليوم إلى الآن؟!

أخرج عم حسن الرسائل من جيبه، ثم قال :

* فى هذا اليوم استلمت فيه الرسالة الثانية منه، وقد اعتقدت أنه يحدثني عن ذلك التمثال الذى قتل بسببه صديقه وأنه لم يقصدك أنت، فذهبت إلى ذلك البيت وبحثت عنه مجدداً وحفرت بعمق أكبر فى كل مكان، ولكن دون جدوى.

حتى لاحظت فى ذلك اليوم اختفاء التمثال الكبير الذى نحته والدك لنفسه!

علمت حينها أنه كان يخبئ التمثال بداخله، ولكن لا أعلم كيف لم يخطر ببالي هذا الأمر؟!

ولماذا لم يأخذه معه فى ذلك اليوم الذى قتل فيه والدتك؟!

وكان ظني خاطئاً فهو لم يقصد التمثال لأنه أخذه بالفعل، بل كان يقصدك أنت يا آدم.

- ولكن لماذا أخذ التمثال الذى صنعه لنفسه؟!

من الطبيعى أن يأخذ منه التمثال الأثرى ويتركه ويرحل!

فأجابه عم حسن :

* لا أعلم

أنا لا أفهم شيئاً!

صمت آدم لفترة كبيرة وهو متعجب ومصدوم من كلمات عم حسن ولا يفهم أفعال نجيب الغريبة.

سأله :

- هذا ليس السبب الذى يجعلك تظن بأن نجيب حرضني على قتلك يا أبي، فقد أخذ التمثال بالفعل.

لماذا تخفى؟

عاد عم حسن إلى بكائه وجلس بين قدمي آدم وأخذ يقول :

* أرجوك لا تقتلني...

أتوسل إليك بأن تسامحني...!

حاول آدم معرفة سبب كلماته تلك، ولكن دون جدوى فخرج من الغرفة وحاولت أمينة أن تتحدث معه لتطمئن على عم حسن ولكنه غادر دون أن يتحدث معها.

روح كانت تسير فى طريق مظلم وحدها وعيناها على الطريق المعاكس المضيئ!

لم تحتمل خداع زوجها لها أكثر من ذلك، بل لم تحتمل خداع نفسها بإمكانية العيش بدون آدم، ومع كثرة المشاكل بينهما طلبت منه الطلاق ولكنه رفض، كان يتركها لأيام طويلة وحدها دون أن تعلم مكانه بحجة العمل غير معاملته السيئة لها.

لم يمض على زواجهما أشهر قليلة ولكنها مرت عليها سنوات ثقيلة لم تتحملها، اشتكت إلى والدها بعد أن لجأت إليه وأخبرته بكل

شيء لعله يكشف عن حنانه للحظات ويرحمها من ذلك العذاب الذى أقحمها فيه بيده!

وأصرت على الطلاق منه حتى وافق مضطراً لذلك الأمر، وعادت إلى نقطة البداية بعد أن عاشت الموت فى الأشهر القليلة الماضية، وصبت كل تفكيرها على آدم!

ذهب آدم إلى العجوز

رحب به العجوز، ثم قال له :

* ليس هذه المرة يا آدم لذلك دعنا نلعب الآن!

سأكون أنا الطبيب النفسى وتحكى لي أنتَ عن حياتك

ثم ضحك وقال :

كنت أرغب بأن أصبح طبيبًا نفسيًا منذ صغري...

ضحك آدم رغم ما يشعر به وقال :

- عادة المريض هو من يدفع ثمن الجلسة وليس الدكتور، ولكنى موافق ولكن بشرط، سنتبادل الأدوار فى كل جلسة وسأعطيك في الجلسة الواحدة عشرين ألفاً، ما رأيك؟

وافق العجوز وبدأ يزاول دور الطبيب النفسى مع آدم :

* حسناً احك لي عن حياتك، لماذا أنتَ حزين هكذا؟

- ومن قال لكَ أنني حزين؟

obeikan.com

* عيناك، هيا أخبرني ولا تكذب، سأعلم فأنا أكبر منكَ عمراً

ثم أخذ المسجل منه وشغله...

يعلم آدم جيداً بأن هذا العجوز يعلم عنه الكثير، ولكن لا يعلم لما يجاريه ويوافق على كل طلباته دون اعتراض منه.

- من أين نبدأ إذاً؟

ليخبره العجوز :

* من أكثر شيء يؤلمك الآن.

صمت آدم لفترة طويلة، كثيراً ما تمنى أن يجلس بين يدى طبيب نفسى ويتحدث عن كل شئ، ولكن ليس ذلك العجوز فهو لا يعلم عنه شيئاً ومع ذلك اغتنم تلك الفرصة واسترخى وبدأ يحكى :

- أكثر ما يؤلمني هو أنا!

في صغري كان عالمي صغير جداً، يقتصر على والدي وأخي وأصدقائي ولعبي مثل جميع الأطفال إلى أن وصلت إلى السبعة عشر من عمري، شعرت أن شيئاً ما أحدث ثقبًا كبيرًا فى عالمي فأخذ يصغر ويضيق بي حتى خرجت منه بغير إرادتي، وعندما خرجت وجدت نفسى فى عالم آخر، عالم كبير يوجد به مليارات من البشر، كل منهم له عالمه الخاص داخل هذا العالم الكبير، لم أكن أعلم أن عالمي الصغير كان جزء من عالم كبير آخر إلا بعد أن خرجت منه.

كنت أتساءل لماذا جُردت من عالمي لفترة طويلة؟!

حتى علمت أني لم أجرد منه وكل ما في الأمر أنه كان هناك غشاء رقيق جداً يحجب بصيرتي عن رؤية العالم الكبير الذى يتسع لنا جميعاً، هذا الغشاء أُزيل بالكامل دفعة واحدة.

عندما تجلس في الظلام لفترة طويلة، ثم يسلط عليك الضوء فجأة تؤلمك عيناك لفترة حتى تتعود على الضوء ولا يمكن أن يحدث العكس!

هكذا كنت حينها

فجأة وجدت نفسى يتيمًا بعد أن كان لي والدين، تألمت وتعذبت ولازلت أتألم إلى هذه اللحظة، ولم أكتف بذلك، بل أقحمت نفسي في علاقة حب مع علمي بأنها لن تكتمل حتى وصلت إلى النهاية المعتادة وتألمت ولازلت أتألم إلى هذه اللحظة، ولا أعلم إلى متى سأتألم!

قاطعه العجوز متسائلاً؟

* كيف مات والديك؟

ليجيب آدم :

- أبي قتل أمي بعد أن تملك شك الخيانة قلبه وعقله ثم هرب، قام بتربيتي جيران والدي (عم حسن وأمينة) بعد أن كتبني باسمه، لم يبخلوا علي بالاهتمام والرعاية حقيقةً، لذلك أنا مدين لهما ما حييت.

* أفهم منك أنك علمت قصة والديكَ منهما، صحيح؟

- نعم، صحيح.

* لماذا لم تضع في الاعتبار أنهم قد يخفون عليك أمراً ما؟

- ولماذا يخفون علي شيئًا!

وماذا يخفون؟

* لا أعلم أنا أسألك.

- لا أعتقد ذلك، فلم أجد منهما إلا كل خير حتى إنهما لم يفرقا فى المعاملة بيني وبين أحمد ولدهم طوال هذه السنوات، كما أنه وزع علينا ثروته بالتساوى بيننا.

فسأله العجوز قائلاً :

* ولماذا تريد أن ترسله إلى المستشفى إذاً؟

صمت آدم لفترة طويلة دون أن يجيب على سؤاله بعد أن أكد له العجوز شكه بهذا السؤال، كيف علم أنه يريد أن يدخل عم حسن إلى المستشفى؟

وكيف علم بحالته وأنه أصبح مريضًا نفسيًا بسبب رسائل التهديد التى تصله من نجيب؟

هو لم يحك له شيئاً عن هذا الأمر!

من هذا العجوز!

طال الصمت بينهما حتى ابتسم العجوز، كأنه قصد هذا السؤال ليقول له أنا أعلم عنكَ الكثير والكثير يا آدم، ثم حرك كرسيه واتجه

نحو الغرفة التى طلب منه مسبقاً أن يدفن جثته بها بعد موته دون أن ينطق بكلمة وبصمت وهدوء مميت ومخيف!

علم آدم أنه يريد منه أن يتبعه، ولكن جسده لا يطيعه وخرج عن سيطرته عاصياً له، أسئلة كثيرة كانت تتصارع داخل عقله ولكن السؤال الأقوى هو من هذا العجوز؟!

وبعد فترة وقف من جلسته وتحرك في اتجاة الغرفة

دخل الغرفة وإذا بالعجوز ينظر إلى حائط مغطى بالصور وكلها لشخص واحد هو آدم!

صور ألتقطت له من بعيد وفى مراحل عمره المختلفة، أخذ ينظر إلى الصور ويتأملها بهدوء صورة تلو الأخرى لوقت طويل، سأله آدم وهو يتأمل الصور بهدوء دون أن ينظر إليه :

ـ أنتَ نجيب إذاً!

وما إن انتهى من الصور، تنحنح وهو مازال محافظاً على هدوئه، ثم جلس على كرسى قديم بجواره وظل ينظر إليه دون أن يتحدث معه، حتى قطع العجوز هذا الصمت قائلاً :

* لم أكن أتمنى تلك النهاية يا آدم، ولكنها خانتني!

ضحيت بأهلى وعصيتهم من أجلها، حاربت وتعبت حتى أهيئ لها الحياة التى تحلم بها، ولكني لم أجد منها غير الخيانة.

انظر إلى كل هذه الصور يا آدم، كنت أراقبكَ من بعيد منذ يومك الأول وحتى هذه اللحظة، وإن كنت أريد أن أقتلك لفعلتها منذ وقت طويل، ولكن أنتَ قطعة منها!

بالرغم من خيانتها لي إلا أنني لازلت أحبها وحتى بعد قتلي لها، كنت أراقبكَ من بعيد وأراها فيكَ، كنت أشاهدها بكَ وفيكَ بروحها، و ملامحها، وصوتها، وتفاصيلها.

كنت ضعيفاً ولم أحتمل خيانتها لي، ولم أستطع العفو عنها وفضلت العيش بدونها بدلاً من العيش معها وكتمان خيانتها بداخلي، لماذا فعلت هذا بي؟

لماذا يا آدم؟

صمت آدم ولا يدري ماذا يفعل فى هذه اللحظة

منذ ذلك اليوم الذى علم فيه بحقيقة والديه وهو يحمل مشاعر الغضب منه ويتمنى أن يأتي اليوم ليثأر لوالدته وها قد أتي اليوم ولا يستطيع الحراك!

لا يعلم ماذا يفعل، ولا من يصدق؟!

أيصدق عم حسن وأمينة وقصتهما التى تدينه بالجنون والمرض النفسى وعدم صحة شكه بوالدته، أم يصدقه وتصبح والدته ليست أكثر من امرأة خائنه!

يتملكه رغبة قوية في البكاء وجفَ جسده ولم يتبقى فيه غير الدماء

حدث نفسه وهو في حالة انهيار وبداخله مجازر شرسة ويسأل نفسه سؤال واحد ردده ألف مرة :

لماذا يحدث كل هذا لي؟!

أكمل العجوز قائلاً :

* أعلم أن هناك أسئلة كثيرة تدور فى خاطركَ، ولكني سأجيبكَ على المهم منها..

أنا لست والدكَ يا آدم، ولا أريد قتلكَ ولم أفكر في هذا الأمر قط.

أنا لا أعلم حقاً مع من خانتني مها.

أرسلت رسائل تهديد إلى حسن ؛ لأنه سرق تمثالي.....

قاطعه آدم متعجباً :

- ولكنك أخذت التمثال بالفعل!

لقد قال لي إنه ذهب إلى البيت منذ فترة كبيرة ولم يجد التمثال الذى نحته أنتَ في البيت وعلم حينها أنكَ كنت تخبئ التمثال الأثرى بداخله وأخذته، حتى إنه اتهمني أنك حرضتني لقتله وأنني من أحضرت التمثال إليكَ!

ضحك العجوز بصوت مرتفع فى وسط حالة ذهول من آدم، ثم قال له :

* لا تخدع نفسكَ يا آدم، أعلم أنكَ ذكى إلى حد كبير، وأعلم أيضاً أنكَ لا تصدقه و أن بداخلك شكوك كثيرة حول أفعاله وأسئلة متعددة.

أنا لم آخذ التمثال يا آدم، اختفى التمثال من البيت فى اليوم الذى قتلت فيه مها فقد بحثت عنه كثيراً، ولكن لم أجده في المكان الذى خبأته به.

صوب نظراته إلى الصور مجدداً، ثم قال :

* أتعلم لماذا لن أقتلك يا آدم؟

لأنكَ إنسان ميت بالفعل، ولأنني أحتاج إليكَ.

وتعلم لماذا لن تقتلني؟

لأنكَ تحتاج إلي لتعرف الحقيقة، لتعرف ما يخبئه حسن عنكَ ولن أقول لكَ شيئاً، بل سأتركَ تبحث عنها بمفردك، ولكن لا تقلق سأساعدك...!

أعلم أنني رغم عجزي إلا أنني أقوى مما تتخيل بكثير فأنا أملك الكثير والكثير يا آدم.

لا تخبر أحداً بمقابلاتنا أبداً، وسأخبرك في اللقاء القآدم ما أريده منكَ بالتفصيل، ولا تنس أن تسارع في إدخال حسن إلى المستشفى فحالته لا تعجبني هذه الأيام، صدقني هذا الأمر لمصلحتك...!

رحل آدم بعد أن تلقى صدمته من ذلك العجوز، لا يعرف إلى أين يذهب، و ماذا يفعل؟!

سمع رنين هاتفه وهو في الطريق أثناء عودته، رد فإذا بها أمينة تطلب منه الحضور إلى البيت فوراً، ذهب مسرعاً إليها وعندما وصل قابلته أمينة على الباب وأخبرته بأن عم حسن حاول الانتحار بشنق نفسه، ولكنها منعته بصعوبة، وأخبرها أن نجيب كان معه في الغرفة ليهدده، ولكنه لم يقتله!

علم آدم حينها أن عم حسن حالته تزداد سوء، بل أصبحت في غاية الصعوبة.

عاد إلى بيته واتصل بـ أحمد وأخبره بأن حالة والده تزداد سوء يومًا بعد يوم فقد دخل في مرحلة الهلاوس، وأخبره بضرورة إدخاله إلى المستشفى فى أسرع وقت ليتلقى العلاج الكامل تحت إشراف دكتور أخر، وافق أحمد مضطراً ووافقت أمينة أيضاً، وأخبرهم أن ينتظروا ثلاثة أيام حتى يتصل بصديق له فى المستشفى التى كان يعمل بها عقب تخرجه من الجامعة مباشرة ليتفق معه ويحكى له حالته بالتفصيل حتى يتمكن من علاجه.

وبعد ثلاثة أيام دخل عم حسن إلى المستشفى بعد أن قابل آدم صديقه، ووعده بأن يهتم به ويكثف كل جهده لعلاجه تماماً.

حاول أحمد إقناع والدته بأن تنتقل إلى بيته حتى عودة والده من المستشفى بعد شفائه، ولكنها رفضت ولم يرد آدم العودة إلى البيت وبقى في تلك الشقة.

لاحظ أحمد سوء حالة آدم، ولكنه كان يعذره ويشفق عليه مما يراه ويعانيه فى تلك الفترة خصيصاً من حالة عم حسن وعمرو

أيضاً، جلس معه عدة مرات ليتحدث معه، ولكن دون جدوى إلى أن بدأ آدم يبادله الحديث، وقال له :

- عمرو في حالة شك تامة بزوجته وكل هذه الهلاوس صورها له عقله لأنه يعلم منذ البداية بصدق حبها لخطيبها الأول، ولكن القدر فرق بينهما لذلك لم يستبعد فكرة خيانتها له وأمسك بسبب واهٍ لا أساس له من الصحة.

كان آدم قد أخبر أحمد بالمقابلة الأولى التى جمعته بذلك العجوز وطلبه الغريب وعدم معرفة شيئاً عنه، لذلك قطع أحمد الحديث عن عمرو وسأله :

* هل قابلت ذلك العجوز ثانية يا آدم؟

صمت آدم للحظات، ثم قال له :

- لا، لم أقابله ولن أقابله ثانية!

السنوات التى جمعت بين آدم وأحمد ومعرفته الجيدة له أعطته انطباع بأن آدم يكذب عليه، بل ويخبئ عليه شيئاً ما، ولكنه لم يصر على سؤاله وتركه بعد أن علم من عينيه الكثير...

مَر وقت طويل على اللقاء الأخير بين آدم وعمرو، ومنذ ذلك اليوم لم يتصل به عمرو على غير عادته فقد اعتاد على الاتصال به باستمرار ورؤيته كل يوم!

اتصل به آدم أكثر من مرة، ولكنه لم يرد عليه فذهب إلى المصنع، ولكنه لم يجده هناك أيضاً فلم يذهب إلى المصنع اليوم رغم

أنه لم يكن يوم عطلته، قلق من غيابه وأراد أن يتصل بأسماء ليطمئن عليها، ولكنه كان يخشى أن يكون عمرًا بجانبها وما عساه إلا الانتظار.

وبينما هو هائم فى غياب عمرو، تلقى مكالمة هاتفية من عمر يطلب منه رؤيته غداً في العيادة ووافق آدم بالطبع، وبالفعل التقى عمر بـ آدم في العيادة صباح اليوم التالى، وبعد أن رحب به آدم قال له عمر :

* أريد أن أشكرك يا دكتور آدم

بدأت أشعر بالحياة، بدأت أشعر بكل شئ حولي وأشعر بأن الدماء عادت لتسير وتشق عروق جسدي بعد أن كان أشبه بالصحراء!

كنت محقاً فى كل كلمة قلتها لي، أنا لم أكن مريضًا بالاكتئاب، بل كنت مريضًا بعبودية العادة بعد أن اتخذت الخوف والاستسلام عادة لي، كنت أخشى هذا العالم بصراعاته، كنت مثل الفأر الذى يتخفى في جحره هرباً من عالم كبير يخشاه.

لقد خرجت من غرفتي ومن عالمي الباهت لأحظى بفرصة أخيرة لإثبات وجودي فى هذا الكون.

أقمت الآن علاقات كثيرة واندمجت مع من حولي وأصبحت أقوى مما كنت عليه بكثير وهذا كله بفضلك أنتَ.

أعلم أنكَ السبب وراء التغير الكبير في معاملة والدي معي فقد رأيت رقم هاتفكَ على هاتفه، لم تكن بحاجة إلى فعل ذلك فأنا من كنت سأتقرب إليه مع الوقت، هو أفضل معي الآن ويتحدث معي كثيراً وفي كل شيء منذ أيام وأمي أيضاً.

سأحاول أن أعيدهما معاً بكل ما أتيت من قوة، مرة ثانية أشكرك على كل شيء يا دكتور آدم.

سعد آدم بتلك الكلمات وأخبره أن يعمل بنصائحه وأنه موجود في أى وقت يحتاج إليه فيه، رحل عمر بعد أن أدخل السرور على قلب آدم في وقت يحتاج إليه كثيراً.

ذهب آدم إلى المستشفى ليتابع حالة عم حسن، وهناك التقى بصديقه الذى يتابع حالته وأخبره أنه هادئ جداً لا يتحدث مع أحد ويخضع للعلاج بانتظام وبشكل جيد دون أدنى مقاومة منه، ولكن يصيبه حالة غريبة ليلاً بسبب كوابيس تطارده ليفزع من نومه ويصرخ طالباً المساعدة من على باب الغرفة، وعندما تصل إليه الممرضة يقول لها :

انجديني، نجيب يريد أن يقتلني!

غير حديثه عن ذلك التمثال الذى أخبرتني عنه، ولكنه لا يريد أن يتحدث معي، ولكن لا تقلق مع الوقت سيتحدث بالتأكيد.

شكره آدم على عنايته لـ عم حسن وأخبره أن يتصل به على الفور إذا طرأ أمر جديد وغادر المستشفى، ولكن أحمد كان يزوره باستمرار ليطمئن عليه على عكس أمينة فلم تزره حتى هذه اللحظة

وتقول إنها لن تتحمل رؤيته في هذا المكان وكان عم حسن يسأل علنها باستمرار ويريد رؤيتها ولكنها لم تغير رأيها!

عاد آدم إلى البيت وهو يحاول الاتصال بـ عمرو، ولكنه لا يجب على مكالماته، اتصلت به أسماء بعد ساعتين من وصوله إلى البيت وكانت تسأل على عمرو وأخبرته أنه لم يعد إلى المنزل منذ البارحة كما أنه لا يجيب على الهاتف كما هو الحال مع آدم!

وأخبرته بأن أهله لا يعلمون عنه شيئاً أيضاً.

أشياء كثيرة كانت تجول في خاطره في تلك اللحظات، تذكر نجيب عندما ترك البيت ورحل حين تملك شك الخيانة عقله وكانت عودته هى نهاية حياتها ويخشى من أن يكرر عمرو ذلك السيناريو مع أسماء!

لم يدر بنفسه وهو يقول لها :

خذي طفلك و اذهبي إلى بيت والدك بسرعة!

خوفه على أسماء وطفلها دفعه لقول تلك الكلمات دون إرادته، اختفائه المفاجئ مخيف ولا يعلم آدم فيما يفكر وإلى أين ستأخذه تلك الهلاوس التى تسيطر عليه، كلامه متناقض بين حديثه مع آدم وحديثه مع أسماء، فقد هددها من قبل بالقتل!

في الوقت نفسه كان أحمد في حالة سيئة بسبب ما أصاب والده، غير المجهود البدنى والعقلى الذى يبذله في عمل المكتب والمصنع معاً ومتابعة حالة والده وزيارته يومياً، غير والدته التى ترفض ترك

البيت والعيش معه مما يدفعه إلى زيارتها باستمرار، غير حالة آدم التى أصبحت في تدهور مستمر بسبب مرضاه ولا يعلم كيف يساعده ليخرجه من تلك الحالة؟!

يشعر وكأنه بدأ يعود إلى حالته السابقة عندما علم بحقيقة والديه ولكن هذه المرة بشكل أسوأ بكثير، فقد زاد على عزلته الدائمة الغموض!

أصبح لا يعلم إن كان حزيناً أم سعيداً عندما ينظر إليه بعد أن كان كتابًا مفتوحًا بالنسبة له وبالنظرة الأولى، علم أنه دخل دوامة الزمن وسيعود لتلك الحالة العصيبة مع مرور الوقت وقد بدأ يحزم أمتعته للعودة بالفعل بسبب إقحامه في حياة مرضاه التى تشبه كثيراً حياته.

لا يعلم أن القدر ضربه الضربة القاضية ليكسر ظهره بقوة وبألم لا يحتمل بعد ظهور قاتل والدته!

كان أحمد فى المكتب يفكر به وفي ذلك العجوز الذى حدثه آدم عنه من قبل حتى أخبرته السكرتارية بأن هناك امرأة فى الخارج تود مقابلته، كانت تلك المرأة هى (روح)!

رغم أنه تعجب من مجيئها إلا أنه سعد بقدومها إلى مكتبه فقد أحبها كثيراً في الفترة التى جمعت بينها وبين آدم وعمله في مكتب والدها لفترة طويلة كان له أثر أيضاً في صداقتهما، ولكنه لم يرها منذ أن غادر المكتب.

رحب بها وهنأته على المكتب الجديد حتى سألته السؤال التى أتت من أجله :

كيف حال آدم؟!

عادة في مثل تلك المواقف يتصدر الكبرياء الترتيب الأول ليمنع صاحبه من السؤال ويكبت الحب، بل ويهدم جميع محاولات الإصلاح حتى وإن وصل الاشتياق لذروته، ولكن روح كانت تحب بصدق ولازالت حتى الآن، وعلمت أن ذلك الشعور لا يمكن مخالطته بالكبرياء ولا بأى شعور آخر وأنه يجب أن ينفرد متربعاً على العرش!

كان مجيئ روح بمثابة طوق النجاة لـ أحمد مثلما كانت من قبل وخاصة عندما علم بطلاقها، لم يرد تزيين حياة آدم وحالته السيئة فقال لها :

آدم في حالة سيئة يا روح

القصة طويلة جداً، ولكن سأحكيها لكِ باختصار...

مَر أكثر من يومين ولازال عمرو مختف ولا يعلم أحد مكانه!

حاول أهله البحث عنه في كل الأماكن التى يمكن أن يتواجد بها ولكن دون جدوى حتى إنهم يئسوا وبحثوا عنه في المستشفيات ولم يعثروا عليه أيضاً.

كلما طال اختفائه كان آدم يزداد قلقاً وخوفاً ليس عليه هو، بل على أسماء وطفلها، حرص على ألا تغادر أسماء بيت والدها حتى ظهوره ويعلموا أين كان ولماذا اختفى بهذه الطريقة.

ظل على هذه الحالة حتى ذهب إلى العجوز في الأسبوع الثالث له، وعندما وصل وجد الباب مفتوحاً.

دخل ليجده ممسكًا بالفرشاة ويرسم وهو يعطى له ظهره، وبدون أن يراه قال له :

* تأخرت اليوم يا آدم!

لم يرد عليه آدم وجلس بعيداً عنه، ثم قال له :

- قُلت لي إنكَ ستخبرني اليوم عما تريد مني فعله.

تركَ العجوز الفرشاة وتحرك بكرسيه بالقرب من آدم، ثم ضحك وقاله :

* ليس بهذه السرعة، دعنى أولاً نكمل جلستنا.

أنت مريض نفسى ويجب أن تعالج يا آدم!

صاح آدم في وجهه غاضباً :

- أنا لست مريضًا نفسيًا، بل أنتَ المريض، أنتَ من قتلت زوجتكَ حرقاً ليس أنا.

فقال له العجوز :

* اهدأ اهدأ

صحيح أنا قتلت زوجتي حرقاً ؛ لأنها خانتني وهذا سبب كفيل ليدفعني لطرح فكرة الانتقام على عقلي وبقوة، ولكن ماذا فعلت أنتَ مع روح؟!

قتلتها أيضاً وبطريقة أبشع بكثير، والدتك لم تتألم سوى لحظات معدودة قبل وفاتها إثر شعورها بالنيران التى تملكتها، ولكن روح تتألم منذ أن خذلتها وسيستمر الألم معها إلى آخر نفس في حياتها...!

ماذا فعلت مع حسن؟

تركته يدخل إلى مستشفى للأمراض العقلية والعصبية لسبب واحد فقط، حتى تعلم ما يخبئه عنكَ، ونسيت أنه الرجل الذى قام بتربيتك.

أين عمرو يا آدم؟!

لم يتعجب آدم من علمه بحالة عمرو فهو يعلم عنه الكثير حتى إنه يعلم فيما يفكر الآن!

لم يرد عليه آدم فقال له العجوز :

* أخبرني بما فعلت بعد رحيلك من هنا في الأسبوع الماضى بالتفصيل.

- قابلت صديق لي في المستشفى التى كنت أعمل بها وشرحت له حالة عم حسن بالتفصيل ودخل المستشفى بعدها، ثم اتصل بي عمر وأخبرني بأنه بحالة جيدة، وبعد ذلك.....

صمت آدم لفترة طويلة وكأنه لا يتذكر شيئاً.

وكأن ذاكرته توقفت عندما اتصل به عمر ولا يتذكر شيئاً بعد ذلك!

سأله العجوز :

* ما بكَ؟

ماذا فعلت بعد ذلك؟

حاول آدم تذكر أى شىء، ولكن دون جدوى، ربما حالة القلق المسيطرة عليه جعلته يفقد توازنه حتى اختلت ذاكرته تماماً.

* ماذا فعلت فـه يا آدم؟!

صاح آدم في وجهه غاضباً بعد سؤاله الأخير قائلاً :

- أنا لم أقتله!

ولماذا أقتله؟!

مازال العجوز محافظاً على هدوئه وهو يقول :

* أنا لم أقل ذلك يا آدم، بل أنتَ!

obeikan.com

هدأ آدم قليلاً، ولكن بدا عليه التوتر والتشتت وهو يضع يديه على رأسه ويقول :

ـ أنا لا أعلم شيئاً!

أشعر وكأني مثل الطفل التائة، أشعر وكأني لا أعلم من أنا حتى.

فقال له العجوز :

* أنتَ الدكتور آدم

مررت بظروف صعبة منذ صغرك وواجهت الكثير من الصراعات في هذا العالم حتى انكسرت وفقدت كل شيء حتى الإحساس بنفسك، حتى أصبحت رجلًا ميتًا يسير في هذا العالم دون ترك أثر.

والآن قررت الانتقام يا آدم، وأخشى أنكَ لن تستثنى أحداً!

لا أمل في علاجك ولن يقدر أحد على إيقاف انتقامك، ستنتقم من الجميع واحداً تلو الآخر دون أن تشعر إلى أن تصل إلى روحكَ، وأخشى عليها منكَ!

وبما أنك وصلت إلى نهاية الطريق سأعقد معك اتفاقًا سيريحكَ كثيراً وسيخرجك من تلك الدوامة.

أمامك خياران يا آدم

الخيار الأول هو أن تقتل حسن، وبعد ذلك اقتلني أنا انتقاماً لوالدتك، ولكن تذكر أن تدفن جثتي في المكان الذى أخبرتك به ولا تعود إلى هنا مرة أخرى، هذه نصيحتي لك.

الخيار الثانى هو أن أقتل أنا روح، وستقتلني بعد ذلك انتقاماً لها.

وسأعطيك شهرًا واحدًا فقط ل تنفذ الخيار الذى تختاره...

ماذا تختار؟!

هربت منه جميع المشاعر الإنسانية في تلك اللحظات، فلم يتعجب من كلماته فقد رأى منه الكثير والكثير، ولم يظهر عليه أى شيء كرد فعل لتلك الكلمات الغريبة فقد كان مثل الليل في هدوئه!

صمت مميت لفترة طويلة وأحاديث يتملكها الصرخات بداخل آدم ولا يدرى ماذا يفعل؟!

يعلم أنه مهما تحدث معه فلن يأخذ منه خيار ثالث، واستسلم له استسلامًا تامًا ولم يتردد على ذهنه غير الخيارين.

شعر أنه يجالس ملك الموت وعلم أنه في حضوره يجب الانصياع لأوامره دون نقاش، فأخذ يفاضل بين عم حسن وروح!

قطع آدم صمته قائلاً :

إذاً سأقتلك أنتَ دون أن أضحى بأحد منهما.

ضحك العجوز، ثم قال :

كنت أعتقد أنك أذكى من ذلك يا آدم، أتظن أنني من سأقتل روح إذا اخترت أنتَ الخيار الثالث بهذا العجز!

بالتأكيد لا فأنا أملك رجالًا ليقوموا بهذا الأمر نيابة عني، في حالة قتلي دون قتل أحد منهما لن يهدأ لهم بال حتى يقتلون الجميع.

أنا تعبت من هذا العالم يا بني فقد عشت كثيراً وفعلت كل ما أريده به، وأريد أن أخرج منه منتصراً ولكن بيدكَ أنتَ.

فكر جيداً واختر...!

عاد آدم إلى بيته في حالة لا يحسد عليها بالمرة، طرق الباب وإذا به أحمد جاء إليه ليطمئن عليه بعد عودته من المكتب، ولكنه وجده في حالة أسوأ بكثير واقترح عليه السفر عدة أيام حتى يريح عقله، ولكنه رفض.

سأله عن ذلك العجوز مجدداً ولكن تهرب آدم بالحديث عن حالة عم حسن ورفضه الحديث مع أحد وأنه إذا استمر على هذا الوضع لن يستطيع الطبيب علاجه ؛ لأن في مثل هذه الحالات الأدوية الطبية لا تقدم النتيجة المطلوبة وأنه لابد من العلاج النفسى أيضاً.

فقال له أحمد إنه يتعجب من عدم ظهور نجيب حتى هذه اللحظة رغم رسائل التهديد التى أرسلها إلى والده، وهل اكتفى بتلك الرسائل التى أثرت على حالته النفسية وأدت به الحال إلى مستشفى للأمراض النفسية والعصبية؟!

شعر آدم أن أحمد يوجه له نفس التهمة التى اتهمها به عم حسن أنه من يرسل إليه تلك الرسائل، ضحك بسخرية وهو يقول :

- أفهم من كلماتك أنك تتهمني بإرسال تلك الرسائل؟

كيف أرسلها وأنا لم أعلم بحقيقة والدي إلا منه هو؟

ولكن من يدرى ربما أنتَ على حق فأنا لا أستبعد أى شىء الآن يا أحمد!

كلمات آدم أكدت لـ أحمد ظنه بأنه يسير في اتجاة العودة إلى حالته السابقة، ولكن هذه المرة سيصبح مصيره في الغرفة المجاورة لـ عم حسن!

فقال له :

* أنا لم أقل ذلك يا آدم.

أنا متعجب فقط من نجيب، غير أن الفترة بين كل رسالة والأخرى كبيرة جداً ومنها من وصلت إلى أربع سنوات.

لذلك اعتقد أنه فعل ما يريد وأنه لم يُرد قتله وإذا كان يريد ذلك لفعل منذ البداية ولا تنس حريق المصنع فبالتأكيد كان يعلم أن والدي لم يكن بالداخل فقد كان الوقت متأخرًا ولا يوجد تفسير لذلك غير أنها كانت محاولة جديدة لزيادة حالة الخوف التى سيطرت عليه وقد أدت الغرض المطلوب بالفعل.

أشعر أن هناك شيء ما يخفيه والدي عنا لأن ما يحدث غير طبيعى، و الطبيعى هو أن تكون أنتَ يا آدم فريسته وليس والدي، كما أنني لا أصدق أن والدي اشترى ذلك البيت من أجلك، وبالفعل كتبه باسمك وأصبح ملك لك، ولكن لم يكن مضطراً لفعل ذلك!

فقال له آدم :

- ليس هذا هو السبب الحقيقى يا أحمد.

نجيب عثر على تمثال أثرى هو وصديقه وقرروا بيعه وتقسيم المال مناصفة بينهم، ولكن نجيب طمع فيه وقتل صديقه وأخذ التمثال ووالدتي وهربوا إلى ذلك البيت.

حكى نجيب قصة التمثال لوالدك وأخبره أنه على صلة برجل يتاجر في مثل تلك الأشياء، ولكن نجيب رفض.

وبعد الحادث ظن بأن نجيب أخفى التمثال في البيت لذلك اشتراه وأخذ يبحث عنه، ولكنه لم يجده على حد قوله!

لم يصدق أحمد أن والده فكر بهذه الطريقة وكانت صدمة قوية له وبعد أن ساد الصمت بينهما لفترة قال آدم :

- لابد من أنه وجده لذلك يحاول نجيب الانتقام منه بتلك الطريقة وأخشى أنها لم تكن سوى البداية فقط!

أتتذكر كلمات أمي أنه فجأة امتلك مبلغًا كبيرًا من المال وفتح منه المصنع وأخبرها أنه اقترض هذا المبلغ الكبير من صديق له وبعد

ثلاث سنوات فقط أعاده إليه، أشعر أن تلك القصة كذبة منه وأن هذا المبلغ الكبير هو ثمن ذلك التمثال الأثرى يا أحمد!

زادت صدمة أحمد بعد تلك الكلمات، ولكنه حاول تكذيبها معللاً أن والده كان متديناً إلى حد كبير وأنه بالتأكيد لن يقبل بملأ بطوننا بذلك المال المحرم.

فقال له آدم :

- لقد تقرب إلى الله في السنوات الأخيرة فقط يا أحمد ومع ذلك ليس هذا مقياس لتقيس به الأمور، ولكن هناك شيئًا غريبًا لا أفهمه...

عندما أخبرني بقصة نجيب وذلك التمثال في ذلك اليوم قال لي إنه ذهب إلى البيت بعد الرسالة الثانية مباشرة، ولكنه لاحظ اختفاء التمثال الذى نحته نجيب لنفسه، وعندما أخذني إلى هناك في المرة الثانية سألني عن التمثال واتهمني حينها أنني من أخفيته وأنني من أرسل إليه تلك الرسائل وحاول أن يقتلني في هذا اليوم.

الغريب هو أن الفترة بين اكتشافه لاختفاء التمثال واتهامه لي بذلك في هذا اليوم طويلة جداً تقريباً عدة سنوات يا أحمد!

فيما كان يفكر خلال كل هذا الوقت؟!

تعجب أحمد من حديثه وسأله :

* ماذا تقصد يا آدم؟

فيما تفكر؟

فقال آدم له :

ـ أعتقد أنه يخدعنا جميعاً يا أحمد !

أمي كانت تعطيه الدواء باستمرار ومع ذلك حالته لم تكن تتحسن، كان يصرخ ويدعى أنه يرى رأس هذا التمثال الذى نحته نجيب في غرفته وعندما تدخل أمي الغرفة لا تجد شيئاً وإذا اعتبرنا بأن فعله هذا كان هلاوس كما اعتقدنا حينها فكان ينبغى أن يرى التمثال بأكمله وليس الرأس فقط!

كما أنه منذ أن انتقل إلى المستشفى لم يشكُ من رؤية رأس التمثال قط!

الغريب هو أن صديقي كان يعطيه نفس الأدوية التى كانت أمي تعطيها له وأنتَ أيضاً يا أحمد، فكيف تزول تلك الهلاوس فجأة باختلاف المكان!

وعندما حاول الانتحار أخبرتني أمي بأنه كان واقفاً على مقعد ومُلتف حول عنقه حبل وظل على هذا الوضع حتى أنزلته عن المقعد بعد أن فكت الحبل من على عنقه، فإذا افترضنا أنه حاول الانتحار حقاً، هل كان ينتظرها حتى تدخل الغرفة وتنقذه ويستسلم لها وهى تفك الحبل من عنقه وتنزله من على المقعد!

انهار أحمد كلياً بعد تلك الكلمات ولم يدر بما يجيب على تلك الأسئلة، وأن كلمات آدم تبدو مقنعة ولا يمكن أن يلاحظها غير طبيب نفسى مثله، ولكن بقى سؤال لم يعلم أحمد جوابه أيضاً، سأله لنفسه

بصوت مرتفع دون أن يدرى بسبب حالة الانهيار والتوتر والصدمة التى أصابته وهو :

* لماذا يفعل ذلك؟

ليجيب آدم على السؤال بهدوء وهو مبتسم :

- والدكَ ذكى إلى درجة كبيرة جداً يا أحمد.

ظن أن هذه هى الطريقة الوحيدة للهروب من انتقام نجيب وربما يصدر له انطباع أنه لم يأخذ التمثال وإنما شخص آخر غيره، ولكن أخشى أن نجيب لم ينخدع بتلك الحيلة وأنه لا يزال يصر على انتقامه ويراقبه عن قرب.

قال آدم جملته الأخيرة بغير إرادته ولم يدر بها، ولكن أحمد لم يلاحظ شيئًا وأخذ الأمر على جانب الافتراض منه.

كلمات آدم اربكت أحمد أكثر وشعر بالخوف ليس على والده فقط، بل على والدته أيضاً، هى الآن فريسة سهلة لـ نجيب بعد أن أصبحت تعيش بمفردها في البيت.

لذلك اقترح عليه أحمد بأن يعود إلى البيت ويعيش معها ليطمئن عليها ووافق آدم على اقتراحه مضطراً حتى لا يشك أحمد في شيء وهو يعلم يقيناً أن أمينة بعيدة كل البعد عن دائرة انتقام نجيب.

بدأ يجهز آدم أغراضه لينتقل إلى البيت في اليوم التالى، وطلب أحمد منه ألا يخبر أمينة بشيء فيكفيها شعورها بالألم وزوجها ملقى في ذلك المكان.

وقبل أن يتركه أحمد سأله عن عمرو فهو لم يذهب إلى المصنع منذ أيام ولا يجيب على الهاتف، فأخبره أن أهله أيضاً لا يعلمون مكانه ويبحثون عنه في كل مكان ولكن دون جدوى، لم يقل غير ذلك، ولكن من وجهه علم أحمد فيما يفكر فأغلق الباب وعاد إليه ثانية وقال له :

* ابتعد عن هذا الأمر يا آدم

لا شأن لك به و لا بزوجته، كفى ما فعلت ولا تقحم نفسك أكثر من ذلك فى عالمه.

لم يرد عليه آدم وعلم أحمد أن كلماته لن تفيد بشىء وأنه سيفعل ما يريده ولن يستمع لأحد مهما كان، رحل أحمد وتركه بعد أن تأكد أنه أصبح على حافة البركان وأنه ليس أكثر من مجرد وقت ويسقط به، لا يعلم أحمد أنه سقط فيه بالفعل وهو الآن يحترق ببطء بعد أن ظهر ذلك العجوز في حياته، وبعد أن أقنعه العجوز أنه قتل عمرو وأنه مريض نفسى وأن انتقامه لن يقتصر على عمرو فقط!

وفي اليوم التالى ذهب آدم إلى البيت لينقل أغراضه إلى هناك قبل ذهابه إلى العيادة، وما إن أدار المفتاح حتى وجد مفاجأة عصفت بقلبه وأعادته سنوات إلى الوراء، إنها روح!

كانت جالسة مع أمينة وما إن رأته حتى وقفت وساد الصمت المكان لفترة طويلة أخذت فيها عيناهما زمام الحديث حتى قاطعتهما أمينة بكلمات عبرت بها عن سعادتها لعودته إلى البيت بعد أن رأت في يديه الحقائب.

لم يلق على روح التحية ودخل إلى غرفته مباشرة وأغلق الباب خلفه، جلس على مكتبه وهو يفكر بها فمازالت تلك اللمعة تملأ عينيها بعد كل ما حدث بينهما!

فتح درج مكتبه ولكنه تفاجأ باختفاء دفتر مذكراته، بحث عنه في كل ركن في الغرفة ولكنه لم يجده، طرق الباب ودقات قلبه تتسارع بقوة وتمنى بأن لا تكون روح، لم يرد الوقوف أمامها وجهاً لوجة بعد أن تركها وحيدة وخزلها من أول عقبة في طريقهما، ولكنه فتح الباب وكانت روح بالفعل وفي يدها دفتر مذكراته!

دخلت دون أن يسمح لها، فتحت درج المكتب ووضعت به الدفتر وأغلقته، ثم أغلقت الباب ووقفت أمامه مباشرة دون أن تنطق بكلمة واحدة، ولكن عينيها نطقت الكثير!

لم يستطع الثبات أمامها أكثر من ذلك وحاول الخروج من الغرفة، ولكنها منعته ووقفت أمامه مجدداً، ثم قالت :

* ماذا فعلت بعد أن فعل النصيب فعلته بنا يا آدم؟

لم يجب على سؤالها لتكمل هي :

* إجابتك في ذلك اليوم كانت دبلوماسية إلى حد كبير يا آدم، ولكني لم أفهم كلماتكَ حينها وفهمتها الآن في هذه اللحظات، قلت لي :

(سأبحث عنكِ في عيون البشر لعل أحدهم أثر نظرة منكِ، سأفقد صورتكِ، وضحكتكِ وصوتك، ولكن روحكِ ستظل بين أضلعي وستدلني عليكِ من بين ملايين البشر كرائحة العطر المميز).

هل بحثت عني؟

لا، كنت تبحث عن ذاتك طوال تلك الفترة، كنت تخدع نفسك لأنك تعلم جيداً أنها معي، معي أنا وحدي وأنها لن تخرج من جسدي إلا وروحي ملازمة لها!

خوفك وألمك من حقيقة والديك هما من دفعاك إلى الاستسلام من أول محاولة وفي أول عقبة في طريقنا إلى عالمنا، تركتك تذوق عذاب الفراق وها أنتَ الآن يا آدم رجل ميت، محطم ويائس.

ألا زلت تصر على عنادك واستسلامك هذا يا آدم؟

لم يتحمل آدم كلماتها وشعر بالضعف أمامها حتى تساقطت دموعه!

لا تعلم أنه الآن مُخير بينها وبين الرجل الذى قضى عمره في تربيته، لا تعلم أنه مجبر على قتل أحدهم وهو ليس بقاتل، لا تعلم أنه ندم الآن على إقحامها في عالمه الباهت والمميت أكثر مما سبق.

قال لها بصوت مكسور :

- قلت لكِ في آخر لقاء بيننا إنني لا أنتمي إلى هذا العالم من البداية وإنني كنت أعلم أن كل هذا مجرد خيبة جديدة يحضرها القدر لي بهدوء مميت، أخبرتك أنني رجل ميت بلا هوية وبلا حاضر ولا مستقبل، فقط ماضٍ أليم يتعقبني حتى النفس الأخير.

لا فائدة من الحديث يا روح أنتِ الآن امرأة متزوجة...

سألته :

* أنتَ من أرسلت الرجل العجوز بائع الورد إلي في حفل زفافي، صحيح؟

أجابها قائلاً بعد أن استعاد هدوءه قليلاً :

- نعم، أنا من أرسلته إليكِ يا روح.

جلست بعد أن تساقطت دموعها، ثم قالت له بصوت حزين :

* إذاً كنت تشاهدني من بعيد تلك الفترة وأنا جالسة على هذا المقعد و أتذكر ذكرياتنا معاً و أبكي بحرقة، وتتركني!

كنت تشاهدني وأنا أتألم لفراقك ولم تعدل عن استسلامك وتركتني أُحطم يومًا بعد يوم!

جلس آدم بجانبها، ثم قال لها :

- كنت جالساً بجانبكِ يا روح، ولكنكِ لم تشعري بي، كنت أبكي بحرقة معكِ، ولكن لم أستطع العدول عن قراري من أجلكِ أنتِ يا روح ولم يكن استسلام كما تقولين، ولكن والدكِ لم يكن ليغير رأيه مهما حدث وأنتِ تعلمين ذلك جيداً.

لم أكن أستطيع قبول فكرة الهروب معكِ فأنا لست بسارق!

لم أعتد الحصول على شيء دون إرادة صاحبه، كنت أرغب بكِ أمام الجميع وتحت أعيون الجميع ونحن نرقص معاً بالأبيض والأسود في يوم زفافنا وجميعهم ينظرون إلينا بسعادة تامة ومن بينهم

قصة حب صغيرة تنبت ويتمنون أن يحققوا ما حققناه مثلما كنا أنا وأنتِ في زفاف أحمد وحسناء.

تمنيت أن أحقق ذلك العالم الذى رسمناه معاً على أرض الواقع وأشارك فيه أهلي وأهلكِ معنا، يسعدون لفرحنا ويتألمون معنا.

لم أكن أرغب في حرمانك من والدكِ، أصدقائكِ ومن ذكرياتكِ، لم أكن لأقبل عليكِ كلمة سيئة من أحد بعد هروبنا حتى وإن كنتِ معي أنا في عالم أخر، وإن أطعتكِ حينها كنت سأصبح رجلًا لا يعرف سوى الأنانية.

نحن لا نعيش بمفردنا في هذا العالم يا روح!

لدينا أناس عانوا كثيراً من أجل تربيتنا ولا ينتظرون منا سوى الاحترام، وهذا أقل حق من حقوقهم علينا.

صدقيني يا روح

كلماتي تلك لم تكن مبررًا لضعفي واستسلامي، ولكنها الحقيقة.

صدقيني

حين أخبركِ أنكِ حبي الأول والأخير، وأن عيني لم تر امرأة غيركِ ولن ترى غيركِ حتى النفس الأخير.

صدقيني

حين أخبركِ أنني لم أعد أقوى على الحب مرة ثانية فقد أحببتكِ بكل جوارحي واستهلكت كل قوتي وصبري وألمي حتى ضعفت

وأصبحت كالعجوز الذى يتكئ على عصا هشة وينتظر موعد وفاته باشتياق مرهق!

صدقيني

صدقيني حين أخبركِ أنني مع كل ما حدث لم أندم على حبي لكِ، أتذكر كل ذكرى جمعتنا في مكان وزمان واحد وابتسم بحرقة، أتذكر كلماتكِ، و صوتكِ، و خجلكِ، و ضعفك ولمعة عينيكِ التى أراها الآن رغم دموعكِ ولا أعلم أأسعد بها أم أحزن على معايشتك لذلك العذاب الذى أعايشه بضعف و استسلام تام منذ أول لحظة فراق إلى هذه اللحظة.

بعد أن حُرمنا من عالمنا ومن حبنا الصادق و رضينا بقضائنا، لايسعنا سوى الانتظار يا روح، لا يُحرم المرء من شيء مرتين فمن يتألم في هذا العالم يسعد في العالم الآخر والعكس، لذلك من يصل إلى هناك أولاً يدعو الله بلقاء، بل بحياة كاملة مع الآخر.

سأنتظرك يا روح

سأنتظرك هـــنـــــاك...!

عذاب من نوع خاص جداً يعيشه كل منهما بعد أن فرق القدر بينهما دون أن يتذكر إعادة قلب كل منهما إلى مكانه، فوضى من المشاعر خلفه القدر لهما ليعرقل بها مسيرتهما، و حاضرهما، ومستقبلهما.

رحلت روح بعد أن فقدت آخر أمل لها، علمت أن إخباره بانفصالها عن زوجها لن يفيد فلا زالت العقبة مستمرة في حياتهما، لازال والدها رافضاً آدم زوجًا لها، ومع ذلك تمنت لو أنها لم تره اليوم فقد زادت نظرتها له من حب واحترام بعد كلماته لها.

ومع ذلك سعدت بكلماته، كاعادته لا يتفوه إلا بالقليل، ولكنه مُربك حين يتحدث!

خرج آدم من غرفته بعد رحيلها بفترة إلى أمينة وسألها عن سبب قدوم روح اليوم، أخبرته أنها جاءت لتطمئن عليها وعلى عم حسن فقط وأنها لم تخبرها شيئاً عن حالة عم حسن.

اطمأنت أمينة على حالة عم حسن منه، ثم رحل إلى العيادة ونسى أن يسألها عن دفتر مذكراته، ولماذا سمحت لروح بقراءته؟!

ذهب آدم إلى العيادة، وبعد أن أنهى جلساته مع مرضاه تلقى اتصالًا من أسماء تسأله ما إن عثر على عمرو أم لا، ولكنه لم يعثر عليه حتى الآن غير أن هاتفه أُغلق منذ ساعات مما صعب الأمر عليهم أكثر.

لقاؤه بـ روح ورؤيتها مجدداً أعاد لذكرياته لهيبها واشتياقه زاد أكثر من الأشهر السابقة بعد أن غطى عليها غبار حالة عم حسن وعمرو غير نجيب وظهوره المفاجئ وطلباته الغريبة!

لا يعلم إلى متى سيصمد أمامها ويثبت على قراره، كان يخشى من أن يكون العجوز على صواب في كل كلمة قالها عنه بأنه أصبح مريضًا نفسيًا و أنه سينتقم من الجميع!

شعر أنه غير طبيعى و أنه يعود تدريجياً إلى العزلة غير حالة التشتت التى تصيبه من وقت إلى آخر ولا يتذكر حينها من يكون حتى، شعر أن روحه انقسمت نصفين أحدهما يرفض الاستسلام و يرغب في معرفة الحقيقة الكاملة وينفذ طلبات العجوز باستسلام تام، والآخر مشتت لا يعلم ماذا يفعل ولا فيما يفكر، تائه بين روح وعم حسن، ولكن لقاء روح الأخير ثقل كفتها أكثر!

مضى الآن شهر تقريباً على اختفاء عمرو، بحثوا عنه في كل مكان ولكن دون جدوى، اختفائه أصاب أسماء بالرعب خاصة بعد أن حكى لها آدم قصة والديه إثر خوفه هو أيضاً من تكرارها معها لتأخذ حذرها.

بقى عشرة أيام على انتهاء المهلة التى أعطاها له العجوز لينفذ إحدى الخيارين ولا زال في حيرة ولا يعلم ماذا يفعل!

استطاع العجوز أن يخرج من نفس آدم تلك الرواسب التى ملأت قلبه وبعد أن تسلل إلى خباياه وأخذ يحصى له مساءه وأمراضه النفسية الخبيثة التى يخبئها خلف صمته الدائم وشخصيته الغامضة، ومع كل كلمة منه كان يؤكد لـ آدم أنه في حالة مذرية لا يحسد عليها خاصة مع ظهور روح مجدداً إلى حياته بعد أن علم من أحمد بخبر انفصالها عن زوجها، ولكن ظنها كان صحيحاً فلم يغير ذلك الأمر شيء.

آدم الآن في العيادة

تلقى اتصالًا من صديقه الذى يتابع حالة عم حسن ويخبره أن عم حسن زادت حالته سوأ فقد شاهدته الممرضة أمس ليلاً وهو يتحدث بصوت مرتفع وكأنه يتحدث مع شخص موجود معه بالغرفة وعندما سأله اليوم مع من كان يتحدث، أخبرني بأنه كان يتحدث مع نجيب!

فأخبره آدم أنه سيأتي إليه اليوم ليراه وأغلق معه المكالمة.

هذا الأمر جعل آدم يعدل عن فكرة أن عم حسن يتظاهر بالمرض، فلماذا يتظاهر بسوء حالته بعد دخوله إلى المستشفى لوقت طويل؟!

قرر الذهاب إليه على الفور واستعد لمغادرة العيادة، فتح الباب ليصدم بوجود شخص أمامه ربما لم يتوقع آدم وجوده في عيادته أبداً.

أرتبك وشعر بالخوف والتوتر ولم يدر ماذا يفعل، ولكنه تظاهر بالهدوء وعاد إلى مكتبه دون أن ينطق بكلمة واحدة.

هذا الشخص هو عمرو!

أغلق عمرو الباب خلفه، ثم جلس على المقعد المخصص للمرضى واسترخى، ثم قال :

* ما بك يا آدم؟

اعذرني، أقصد ما بك يا دكتور آدم؟

أريدكَ أن تكشف علي فأنا أعتقد أنني مريض نفسى.

علم آدم حينها أن حيلته لم تخدع عمرو من البداية وأنه هو من كان يخدعه طوال تلك الفترة!

جلس آدم على مقعد قريب منه، ثم قال :

- أين كنت يا عمرو؟

فأخبره أنه كان في مكان بعيد جداً، يفكر في كلماته التى قالها له آدم في آخر لقاء بينهما، ولكنه أخبره بأنه لم يقتنع بها...

قاطعه آدم قائلاً :

- بماذا تفكر يا عمرو؟

ماذا ستفعل؟

ابتسم وهو يقول له بهدوء مخيف :

* سأقتلها يا صديقي...!

ابق بعيداً يا آدم، صدقني هذا أفضل لكَ.

نزلت كلماته كالصاعقة على آدم

لم يعطه عمرو الفرصة ليرد عليه ورحل!

شعور غريب يشعر به آدم الآن فهو لا يقدر على الحركة ولا التفكير في شيء، فقد القدرة على الشعور بشيء وكأن دماءه تبخرت كلياً وبقى حادث والديه يتردد أمام عينيه.

obeikan.com

وما إن استعاد وعيه حتى اتصل بأسماء وأخبرها بما حدث حتى تأخذ حذرها من عمرو، ونصحها بعدم مغادرة بيت والدها مطلقاً حتى يعثر عليه، وبالفعل لم تغادر البيت بعد أن سادت حالة الخوف والقلق عليها وعلى أهلها أيضاً.

كابوس مؤلم يعيشه آدم في تلك اللحظات بعد أن تعقدت الأمور أكثر من كل جانب وازدادت صعوبة وازدادت معها حالة التوتر والخوف والتشتت المسيطرة عليه حتى لاحظ أحمد ذلك وحاول أن يتحدث معه مجدداً ولكن دون جدوى بعد أن انقطع آخر أمل له بفشل روح في عودته إلى حياته الطبيعية.

بعد زيارة عمرو له في عيادته علم أنه لم يقتله وأن كلمات العجوز فقدت صحتها إلى أن تلقى اتصالًا من أسماء وأخبرته بخبر صدمه لتتردد كلمات العجوز على أذنيه بقوة، قالت له وهي تبكى وبصوت منبوح والضوضاء تعم المكان :

تلقيت اتصالًا من هاتف عمرو، ترددت قليلاً قبل أن أجيب عليه، ولكن صوت رجل غريب كان يحادثني وأخبرني أن عمرًا تعرض لحادث حيث صدمته سيارة وهو الآن في المستشفى وعندما ذهبت إليه وجدته قد فارق الحياة إثر جراحه ولا يعرف أحد من فعل ذلك فقد صدمته سيارة وهرب صاحبها ونقله أناس شاهدوا الحادثة إلى المستشفى!

قالت تلك الكلمات ولم يدر آدم بنفسه وهو يغلق المكالمة في وجهها قبل أن تكمل حديثها وهو في حالة عصيبة وخوف من مجهول يجهله أنه ربما هو الفاعل، بل بالتأكيد هو الفاعل!

عاد آدم إلى البيت وأغلق على نفسه الباب وهو لا يعلم ماذا يحدث له؟!

أحقاً هو من قتل عمرًا دون أن يدرى، أو يتذكر أى شىء!

كلمات العجوز تطارده وتقتل فيه كل شىء.

ماذا لو كان على حق وأنه فعل تلك الفعلة انتقاماً منه بعد أن تمثل عمرو في صورته وأنه مريض نفسى بالفعل؟

بقى على هذه الحالة عدة أيام

أراد خلال هذه الفترة الذهاب إلى العجوز والتحدث معه في محاولة لخيار ثالث أهون، ولكنه يعلم جيداً أنه لن يوافق، واستغل تلك الأيام في المقارنة بين روح وعم حسن!

لا يعلم كيف سيعلم الحقيقة التى يخفيها عم حسن بعد قتله إذا اختار الخيار الأول، ويتردد في خاطره أن هذه الحقيقة بالتأكيد ستدفعه إلى قتله ولكن ما هى؟!

فكر في أن يكون هو من خان نجيب مع والدته لذلك يسعى نجيب إلى قتله بيدي آدم، ولكنه أخبره أنه لا يعلم مع من خانته وبدا صادقاً في قوله، إذاً ماذا يخفى؟!

كان من الممكن أن يطلب من آدم أن يحضر له التمثال فقط دون قتله، ولكن هذا الأمر يؤكد أن الأمر لا يتعلق بالتمثال فقط، بالتأكيد هناك شئ آخر!

صراع طويل عاش به آدم في محاولة للمقارنة بين روح وعم حسن حتى اختار بعد أن أقنع نفسه بألف سبب لاختياره!

فلم يتبق سوى يوم واحد على انتهاء المهلة التى أعطاها العجوز لـ آدم للاختيار.

لازالت أمينة ترفض فكرة زيارة عم حسن، وظلت تعيش بمفردها في البيت مع آدم الذى تدهورت حالته كلياً ولكنها لم تتحدث معه، تعلم جيداً ما يمر به هذه الأيام، تعلم أن رؤيته لـ روح أعادت له ذكرياته معها وعذاب فراقهما، ولكنها تجهل أن القدر بات يقلب صفحاته الأخيرة...!

آدم الآن في موقف لا يحسد عليه بالمرة

أنا السجين الهارب

أنا من كُتب عليه الموت مهما طال الزمن ؛ ومع ذلك أموت كل لحظة مائة مرة

أنا آدم

أنا السجين الهارب

أعيدوني إلى سجني، أعيدوني إلى موطني

كلمات كتبها في أول يوم من فراق روح، إذاً ماذا يكتب الآن بعد أن اشتدت به الدنيا و أصبح في المستوى الأخير في لعبة الإنسان والقدر!

اعتاد على أن يدون كل لحظة تمر به، ولكنه لا يجد كلمات يوصف بها تلك اللحظات العصيبة والأليمة، شعور مميت ممزوج بالاشيء!

مبنى كالمغارة والأشجار تحيط به من كل جانب، كانت الكأبة ظاهرة عليه بقوة، تشعر وكأن أشعة الشمس ترفض زيارة ذلك المكان.

المكان مظلم بعض الشيء وأنفاس خافته وهدوء مخيف في مكان يعمه الضوضاء والصرخات!

ماذا أفعل الآن؟

ما ذنبه هو، وما ذنبها هي؟!

أسئلة في نفس آدم تتزاحم بداخله حتى انفجرت وهربت من بين فكيه بصوت مرتفع بعد أن وقعت منه السكين على الأرض، ولازال عم حسن ملقى على الفراش أمامه ويغط في نوم عميق ولا يعلم بأن مخاوفه باتت في نهايتها بقدوم آدم الذى تمعن كثيراً قبل أن يفاضل بينه وبين روح، واختار الفتاة التى حطمت قلبه لأشلاء لا تُرى بوفائها.

جلس على الأرض أمام الفراش من هول الموقف، وأخذ ينظر إليه بتمعن في صمت وألم، لم يحتمل فكرة قتل الرجل الذى قام بتربيته طوال سنواته ولكنه مجبر على ذلك فبكى حتى يسمع أصوات صدره الأصم، ظل على هذه الحالة بضعة دقائق حتى سمع صوت يقول له :

ماذا تنتظر يا آدم؟!

لو كنت بمكانك لما ترددت قط، أرحني يا بني من هذا العالم...!

شعر عم حسن به دون أن ينظر إليه ولكنه يعلم صوت بكائه جيداً منذ صغره، أمسك آدم بالسكين واقترب منه بهدوء، ثم رفع يديه وهو يتأمله ويملأ عينيه بصورته وصدره بأنفاسه حتى نزل بالسكين بكل قوته وابتلت بالدماء!

مَر يومين ولازال آدم سجيناً في غرفته، اتصل أحمد به وأخبره أنه في الطريق إليه ليأخذه إلى والد روح!

لم يخبره عن السبب وذهبا معاً، وعندما وصلا استقبلهما ورحب بهما ، ثم قال :

* اختفت روح منذ يومين ولا أعلم مكانها!

وسط ذهول من أحمد أكمل قائلاً :

بحثت عنها في كل مكان، ولكن لا أثر لها، بحثت عنها حتى في المستشفيات وعند صديقاتها، ولكن لا أحد يعلم مكانها، أطلب منكم أن تساعدوني في العثور عليها، ساعدوني على استعادة ابنتي....

قاطعه صوت انكسار كوب المياة الذى كان يمسكه آدم بسبب حالة الغضب التى سيطرت عليه حتى جُرحت يداه.

نادى والد روح على الخآدم لينظف المكان ويحضر بعض القطن لـ آدم، ثم أكمل :

حالتها كانت تزداد سوء بعد انفصالها عن زوجها ولا أعلم السبب فقد فعلت ما أرادت.

أعلم أنكَ تحبها يا آدم

ساعدني على العثور عليها يا بني...

حالة والد روح سيئة جداً بعد اختفاء ابنته المفاجئ، العجز ظهر على وجهه بقوة، التجاعيد تملأ وجهه وتخفى خلفها ملامح رجل حزين يائس.

- يا الله -!

ماذا فعلت يا رجل في حياتك؟!

سؤال تردد في النفس في تلك اللحظات.

قطع آدم صمته قائلاً :

- أنتَ سبب ما وصلت إليه ولو أنكَ لم تعارض زواجنا لكنت أفضل بكثير، انظر ماذا فعلت بي وبـ روح!

لماذا رفضت زواجنا؟

صمت والد روح للحظات، ثم قال في تردد :

* انظر إلى حالك يا آدم، انظر إلى عالمك الباهت.

رأيت فيكَ رجلًا بلا حاضر ولا مستقبل وقد ثبتت الأيام صحة ظني بكَ، نعم يا آدم كنت أعلم حقيقة والديكَ.

obeikan.com

كنت أعلم أنها ستطاردك حتى النفس الأخير وإن كانت روح معكَ، الإنسان بطبعه يبحث دائماً عن الحقيقة حتى وإن أيقن أنها مؤلمة وهي دائماً كذلك.

انظر حولك يا آدم

روح تعيش في قصر منذ طفولتها، هل كنت تقدر على الحفاظ على ذلك المستوى لها؟

بالطبع لا.

فعلت ذلك من أجلها، من أجل حمايتها من عالمك المملوء بالأشواك والألام.

فقال له آدم بصوت حزين وبمزاج فارغ :

- أنتَ مخطئ

لو ظلت روح معي لكنت اكتفيت بعالمنا ورميت وراء ظهري كل شيء سواها، لو ظلت روح معي لأصبح لي حاضر مستقر بها ومستقبل قوى لها وما كان للماضى قيمة ؛لأنها لم تكن به.

روح لا تشبهكَ

لا تهتم بالمال ولا بالسلطة، لم تكن تريد سوى رجل يحبها بصدق وكنت أنا ذلك الرجل وحرمتها مني.

أخبرتني بأنكَ عندما تزوجت والدتها كنت رجلًا فقيرًا، طالب في الجامعة ومقيم في حى بسيط وتعمل بيدك لتكسب رغيف عيشك، ومع

ذلك أصرت على الزواج منكَ وصارعت أهلها من أجلك حتى وافقوا ووقفت بجانبك حتى أصبحت على ما أنتَ عليه الآن.

عملت بجد وتعبت حتى أثبت أنكَ على قدر المسؤلية وتستحق حبها لكَ وتضحيتها من أجلك ووقوفها بجانبك مع أنكَ كنت رجلًا فقيرًا بلا حاضر ولا مستقبل حينها وحتى علاقتك بأهلك كانت منقطعة وإلى الآن.

لماذا لم تعط لي الفرصة لأثبت لها ذلك؟!

ظروفنا كانت متشابهة!

قاطعه أحمد قائلاً :

دعك من الماضى يا آدم ولنرى ماذا سنفعل الآن.

وبعد حديث طويل بين آحمد ووالد روح في وسط صمت آدم رحل آحمد وآدم.

شعر بالعجز اتجاهها حتى إنه تمنى لو أن الزمن يعود به ليوافق على فكرة الهروب إلى مكان بعيد، إلى مكان خالٍ من العادات...!

وفي منتصف الليل من نفس اليوم ذهب آدم إلى العجوز...

وعندما وصل وجد الباب مفتوحاً، دخل وأغلق الباب خلفه.

بحث عنه في البيت حتى وجده في الغرفة جالساً على مقعده وينظر إلى الحائط المغطى بالصور بهدوء والتمثال الذى اختفي من بيت والديه بالغرفة وبالقرب منه!

اقترب منه بهدوء، ثم قال له :

- ماذا فعلت بها؟

ابتسم وقال له :

* فعلت ما اتفقنا عليه يا آدم

اخترت أنتَ الخيار الثاني، لماذا تلومني الآن؟!

انهار آدم بعد جملته الأخيرة كلياً وبكى بعد أن علم ما فعله بها، ولكنه لم يستطع تصديق ذلك الأمر فسأله مجدداً :

- ماذا فعلت بها؟!

مازال العجوز محافظاً على هدوئه وهو يقول :

* ما بكَ، ألم يكن بيننا اتفاق؟!

قتلتها يا آدم ...!

ماذا ستفعل الآن؟

تذكر آدم ذلك الكابوس الذى كان يراوده باستمرار أنه مقيد في ذلك التمثال والنيران حوله في كل مكان وتقترب منه بهدوء وهو يصرخ ولا يستطيع تحرير جسده من التمثال وكأنهما أصبحا جسدًا واحدًا حتى تلتهمه النيران كلياً ولا تتركه إلا رماداً.

أمسك بالكرسى وأوقفه أمام التمثال، ثم أمسك بالعجوز وقيده في التمثال بهدوء وبدون أدنى مقاومة منه وكأنه يعزف أعذب الألحان!

obeikan.com

نثر مادة بترولية حول التمثال وعلى التمثال نفسه، ثم أخذ مقعداً وجلس عليه أمامه مباشرة وتأمله ببطء وهدوء، ثم قال له :

- فعلت كل هذا كى تجعلني أقتلك بيدي وبنفس الطريقة التى قتلت بها أمي يا أبي!

حينها تخلى العجوز عن ابتسامته وظهرت عليه علامات الغضب وصاح بوجهه قائلاً :

* أنا لست والدك!

والدتك خانتني وكنت أنت نتيجة تلك الخيانة

أعطيتك خيارين واخترت أنتَ الخيار الثانى ؛ لأنك لم تقدر على قتل حسن واكتفيت بجرح صغير في أذنيه، لذلك نفذت الخيار الثانى، أعلم أنه لا ذنب لكَ في كل هذا، لا ذنب لكَ بقتل روح ولا والدتك لذلك أنتَ هنا الآن.

أنا منصف إلى حد كبير يا آدم

لقد انتقمت من والدتك لأنها خانتني، وسأعطي لكَ الفرصة ؛ لتنتقم مني لقتل والدتك وروح أيضاً، ما رأيكَ؟

ابتسم آدم، ثم قال :

- وأنا سأغتنم تلكَ الفرصة، لا تقلق

وقف وأشعل عود ثقاب ورمى به نحو التمثال حتى انتشرت النيران في جميع أركان الغرفة وبدأت تتملك جسد العجوز وهو يتألم في صمت دون مقاومة منه والتمثال مبتسم...!

ظل آدم واقفاً أمامه ويشاهد النيران وهي تلتهم جسده دون أن يشعر بالخوف منها وكأن خوفه من النيران تسرب كلياً.

النيران تلتف حوله وتقترب منه ببطء وهو لا يشعر بها وكأنه فقد القدرة على التألم واكتفى بمشاهدة آخر لحظات العجوز حتى بدأت النيران تتملك قدميه كلياً وهو لا يشعر بشيء وكأن روحه غادرت جسده فى تلك اللحظات وتراقب ذلك المشهد العصيب من بعيد حتى سقط على الأرض مغشيًا عليه من هول المشهد!

بعد يومين استيقظ آدم ووجد نفسه في غرفته وأحمد جالساً على مقعد بجانبه.

شعر بألم في قدميه التى أصيبت أثناء الحادث وحاول الحراك ولكن منعه أحمد فسأله آدم :

- كيف وصلت إلى هنا؟

فقال أحمد له :

* اسمعني جيداً يا آدم

منذ فترة شعرت أنكَ تعود إلى حالتك السابقة وكانت حالة عمرو هي سبب من الأسباب التى أعادتك إلى تلك الحالة وحاولت منعكَ

عندما طلبت مني أن أوظفه في المصنع، ولكنك أصريت على طلبك فوافقت عليه مرغماً.

وعندما حكيت لي عن ذلك العجوز خَطر ببالي من اللحظة الأولى أنه والدك، ولكن لم أستطع قول ذلك لكَ وانتظرت حتى أتأكد من ظني، ولم أصدقك عندما أخبرتني أنك لن تقابله ثانية، ومع الوقت ساءت حالتك أكثر وحينها قررت أن أراقبك لأعلم سبب تلك الحالة و لأصل من خلالك إلى ذلك العجوز.

لم تكن قاتل عمرو يا آدم

ففي ذلك اليوم تحديداً لم تغب عن عيني لحظة واحدة لذلك أعتقد أنها لم تكن سوى حادثة بغير قصد.

ومن أسبوع تقريباً كنت في عيادتك بعد أن أخذت أمي مفتاح العيادة من درج مكتبك دون علمك، وعندما دخلت العيادة بحثت عن شرائط تسجيل جلساتك مع العجوز حتى وجدتها في شنطتك مع مسجل الصوت خاصتك ولم أجد سوى شريط واحد فقط وتقريباً هو اللقاء الأول بينكما.

سمعت الشريط أكثر من مرة يا آدم وكانت صدمتي قوية حينها فلم أكن أسمع سوى صوتك أنتَ يا آدم...!

وعندما ذهبت إلى ذلك العجوز من يومين كنت أراقبك ووجدتك تدخل البيت القديم الذى كان لوالديك!

لم أكن أعلم سبب مجيئك إلى ذلك البيت حينها وانتظرتك في الخارج، ولكنك تأخرت وفهمت حينها أن ذلك البيت كان المكان الذى تقابل به ذلك العجوز.

دخلت مسرعاً ووجدتك واقفاً في غرفة في آخر البيت والنيران حولك من كل مكان حتى إنها تملكت قدميك وأنت تنظر إلى ركن من الغرفة فارغاً تماماً وتمعن النظر به! ناديت عليك من خارج الغرفة ولكنك ظللت تصوب نظراتك نحو ذلك الركن الفارغ حتى سقطت على الأرض أمامي فدخلت الغرفة مسرعاً وحملتك إلى هنا وأحضرت لكَ الطبيب.

أنتَ مريض يا آدم...!

لو أنكَ استمعت إلى نصائحي لما حدث كل هذا، ولكن لا تقلق ستعالج وتصبح في حالة جيدة قريباً.

والدكَ لايزال طليقاً ولا نعلم مكانه، ولكن أعتقد أنه اكتفى بما فعله بوالدي يا آدم، حاول أن تنسى أمره حتى تستطع العيش بسلام.

صمت آدم بعد تلك الكلمات وبدا عليه التعب والألم وصمت معه أحمد وهو مشفق عليه حتى الألم، دخلت أمينة عليهم وجلست بجانب آدم وأخذت تأنسه ولكنه في عالم أخر لا يستمع إلى كلماتها، شعر بضيق وطلب من أحمد أن يأخذه إلى الخارج وأصر على طلبه ولم يستطع أحمد منعه فأجلسه على كرسى متحرك نظراً لقدميه المصابه ومشى به إلى سيارته وذهب به إلى المكان الذى يشعر آدم بالراحة دائماً به بعد أن وصف لـ أحمد الطريق.

أجلسه أحمد على الكرسى المتحرك وذهب به إلى ذلك المقعد، ولكن آدم طلب منه بأن ينقله على ذلك المقعد وبدون أن يعلم أحمد السبب نفذ طلبه وجلسوا معاً لفترة طويلة في صمت تام حتى قطع آدم ذلك الصمت قائلاً :

- كنا نجلس أنا وروح على هذا المقعد طوال السنوات التى جمعتنا معاً، كلما شعرت بالضيق آتي إلى هنا ولا تمر سوى لحظات حتى أشعر بالراحة.

يا ترى أين هي الآن؟!

لو ظلت بجانبي لما حدث كل هذا.

فقال أحمد له :

* كانت بجانبك دوماً يا آدم، ولكنك ضللت الطريق، ولا نعلم أين هي الآن!

صمت آدم للحظات وبدأت دموعه تتساقط منه دون إرادته في محاولة منه لأخفائها، ثم قال :

- لم أضل الطريق يا أحمد، بل سلكت الطريق المكتوب لي، ولكنه كان مظلمًا ومليئ بالعقبات.

تحدثا لفترة طويلة وقبل أن يغادرا قال آدم لـ أحمد :

- أترى ذلك العجوز بائع الورد هناك

اذهب واشتر منه بعض الورود.

obeikan.com

ضحك أحمد وسأله :

* لماذا؟!

فقال آدم له :

- اشتر منه الورد فحسب ولا تسأل عن سبب كل شيء يا متطفل!

مرَ أسبوعين على اختفاء روح دون أن يعثروا عليها

تذكر آدم والد عمر الذى عالج آدم ابنه عمر، والد روح قام بعمل بلاغ في الشرطة بالفعل، ولكن والد عمر سيهتم بالأمر أكثر بالفعل، ذهب إليه وأخبره عن اختفاء روح منذ فترة كبيرة ووعده ببذل أقصى جهده للعثور عليها وأخذ بيانات عنها وطمأن آدم.

وعندما عاد آدم إلى البيت ؛ وجد ظرفًا معلقًا على الباب، أخذ الظرف ودخل غرفته، ثم فتحه ووجد بداخله ورقة مكتوب بها :

(روح معي يا آدم

لا تقلق أنا أعتني بها جيداً، أنا أريدك أنتَ وبمجرد وصولك سأطلق سراحها.

لا تخبر أحدًا بهذه الرسالة لمصلحتها يا آدم، أنتظرك.)

كانت الورقة شبيهه بالورق الذى أرسل إلى عم حسن من قبل، لذلك أيقن أنها من نجيب!

وجد بداخل الظرف تذكرة طيران إلى إسبانيا وملصق عليها ورقة صغيرة مكتوب فيها العنوان هناك، موعد الطائرة بعد أربع ساعات فقط!

لم يكن هناك وقت ليخبر أحد وذهب مسرعاً إلى المطار حتى يلحق بالطائرة وهو في حالة ذهول وصدمة قوية، لم يأخذ وقتًا في معرفة من فعل تلك الفعلة، كم كان ذكياً في تدبير الأمور!

أدخل عم حسن المستشفى وحسر أمينة على زوجها وعلى آدم أيضاً بسبب رعايتها واهتمامها له طوال تلك السنوات، وحول حياة آدم إلى جحيم والآن يهدده بقتل روح!

من أى عالم هذا الرجل!

يعلم آدم جيداً أنها نهايته، ولكنه يأمل في إنقاذ روح ولو كانت مجرد محاولة من رجل عاجز يائس...

وصل آدم إلى إسبانيا وبدأ يبحث عن العنوان المكتوب بالورقة حتى عثر عليه، شقة صغيرة في مبنى سكنى، وقف أمام الباب وطرق الباب بعد فترة مترددا متربقاً حتى فُتح الباب ليجد مفاجأة!

لازال عم حسن على حاله دون تحسن، بل ازدادت سوء بعد محاولة آدم قتله ولم يكتشف أحمد إن كانت شكوك آدم في إدعاء والده المرض هرباً من انتقام نجيب على صواب أم لا، ولكن قررت أمينة زيارته اليوم أخيراً بعد أكثر من شهر ونصف من دخوله المستشفى.

دخلت الغرفة المخصصة له، وعندما رأها عم حسن أعطى لها ظهره دون أن ينطق بكلمة واحدة.

بدأت تتحدث معه، ولكنه لا يرد عليها، ثم قالت له :

حسناً لا ترد، ولكني سأحكِ لكَ قصة مثيرة لعلها تسليك قليلاً!

(كان يا مكان

كان هناك رجل يدعى حسن وامرأة تدعى أمينة

تزوجا وعاشا معاً في سعادة وسلام، ومع مرور الأيام اكتشفت أمينة خيانة حسن لها أكثر من مرة!

لم تعلمه أنها تعلم بأمر خيانته فلم يكن لها أحد سواه فقد كانت يتيمة ولا تملك سوى أخ تزوج وسافر بعيداً عنها فقبلت بقضائها.

كانت رائحة الخيانة تفوح منه وتقتلها ببطء، ولكن ما باليد حيلة، مرت الأيام وتعرفت على مها وأصبحت صديقتها وتعرف حسن على زوجها نجيب، ومع مرور الأيام علم حسن بقصة تمثال أثرى بحوذة نجيب، طمع في التمثال حتى تسلل في يوم إلى بيت نجيب أثناء غيابه وأخذ يبحث عن التمثال في كل ركن من البيت حتى عادت مها من العمل ورأته وهو يفتش في البيت كاللصوص ولكى يمنعها من إخبار نجيب عن هذا الأمر لخوفه منه فقد قتل مرة قبل هروبه، ومن يقتل مرة يقتل ألف، ضربها حتى سقطت على الأرض ولم يستطع كتم غرائزه الوحشية فاهتك عرضها ليضمن صمتها...!

وبعد ذلك الحادث بثلاثة أشهر علمت أنها تحمل في طفل في الشهر الثالث له، لم تستطع قول الحقيقة بالتأكيد لـ نجيب، ولكنه كان يعلم أنه مصاب بالعقم قبل حملها بأشهر قليلة بعد زيارة الطبيب دون إخبارها...

ظن أنها خانته وهي لم تكن سوى ضحية لإنسان هربت منه جميع المشاعر الإنسانية، قتلها نجيب ثم هرب ولا يعلم أحد إن كان على قيد الحياة حتى الآن أم لا، ولكنه حتى وإن كان على قيد الحياة فقد فَقد لذتها بعد قتل حبيبته.

وقبل وفاتها بدقائق أخبرت أمينة بكل شيء وأن هذا الطفل ابن حسن وليس نجيب!

ومنذ ذلك اليوم توعدت أمينة بالانتقام لصديقتها ولطفلها الذى سيعيش محروماً من والدته طوال حياته، لذلك ألحت على حسن أن يكتب الطفل باسمه بعد أن أحرقت عقد زواج نجيب ومها، وبالفعل كتبه باسمه واشترى البيت الذى استأجره نجيب من مالكه على أمل الحصول على التمثال، ولكنه لم يعلم أن نجيب أخذ التمثال معه في يوم الحادث قبل أن يقتل مها كما أخبرتها مها!

مرت سنوات ولم تنس أمينة انتقامها، ولكنها كانت تنتظر الوقت المناسب، الوقت الذى يسهل به التلاعب بعقله وبالفعل قرأت الكثير من كتب علم النفس، ثم بدأت انتقامها برسالة تهديد له على أن نجيب هو المرسل، و مع توالى الرسائل بدأ يفقد عقله بعد أن سيطرت عليه حالة الرعب، وزاد الأمر اختفاء التمثال الذى نحته نجيب من البيت بعد أن أخذته هي!

صدفة جمعت آدم برجل كان له أثر أيضاً في حياته العصيبة حين وقع في حب ابنته، كان ذلك الرجل ابن عم نجيب الذى كان يعتقد أن آدم هو ابن نجيب، ولكنه مع ذلك وقف صامتاً يشاهد من بعيد وهو يخشى المساس بسمعته ونفوذه إذا عرفت قصة نجيب، وترك آدم يُكتب باسم حسن!

نفذت أمينة انتقامها الآن

بعد أن أطلق حسن على نجيب أنه مريض نفسى أصبح هو الآن مريضًا نفسيًا وكتب آدم باسمه، و بسبب حرمان آدم من روح بسبب والدها ونيته السيئة ؛ حرمته منها!

هي الآن في العالم الذى تمنت أن تكون به...

الآن كل من (حسن – والد روح – آدم – روح) فى مكانه المناسب

أحياناً تنزل عدالة السماء على أيدي البشر يا حسن!

سمع عم حسن كلمات أمينة في ذهول، أحقاً كانت تعلم كل هذا طوال هذه السنوات دون أن يعلم وأصبح هو الآن فريستها!

نظر خلفه، ولكنه لم يجدها!

رحلت بعد أن أفقدته الجزء الأخير من عقله.

أخرج الرسائل من جيبه، ولكن هذه المرة قرأ الرسائل معاً كأنها جملة واحدة دون فصل، قرأ بصوت عال دون أن يشعر ويده ترتجف بقوة :

(مازلت على قيد الحياة يا حسن، مازلت أتنفس رائحتك، عود الثقاب مازال مشتعلاً ولن أطفأ لهيبه حتى تصبح رماداً، أعد لي ما قتلت من أجله صديقي.

لقد تركت لك ما لك وما عليك وسأجعل ضلعك أقوى منكَ حتى أنكَ لن تستطيع تحمل ألمه.

عود الثقاب سينطفئ قريباً بعد أن تعيد كل شيء إلى طبيعته ستكون في مكانك الطبيعى)!

دخل آدم إلى البيت ليجد روح في انتظاره، مبتسمة له!

ظن حينها أنها من أرسلت له تلك الرسالة، ولكنه نسى كل شيء وقرر ألا يضيع تلك الفرصة من يديه، لعلها تكون الأخيرة.

اقترب منها بهدوء وهو يحدث نفسه قائلاً :

أنتِ أمامي الآن يا روح ! !!

أتوق إلى لمعة عينيكِ، تلك اللمعة التى عشقتها، إلى لمسة يديكِ، أتوق إلى كل شيء معكِ وبكِ.

أشعر أن نبضات قلبي تتزاحم حتى إنها تكاد تكسر لي ضلعاً وأكثر.

- يـــا الله – كيف أنتِ الآن؟

أتنظرين إلى كل حفرة في وجهي تركتها دمعة نزلت على فراقكِ، أم تفعلين كما أفعل أنا الآن تغمضين عينيكِ لدقيقة واحدة تمحى فيها سنوات من الضياع، من العذاب لنعود إلى لقائنا الأول على هذا المقعد، أشعر أن كل هذه السنوات قد مُحت حقاً، اشعر أني أقل عمراً، أستطيع الآن أن ألمس هواء هذا المكان وأنتِ بجانبي يا روح تمسكين يدي.

أين كنتِ كل هذه السنوات؟

لو كنتِ معي لما رأيت هذا العذاب، ضللتُ الطريق من بعدكِ كنت ضريرًا يسيرُ في الظلام أصطدم بما حولى كالطفل في بداية المشي....

توقفت هذه الكلمات التى كانت تجول في خاطره بعد أن شعر بيديها وهي تلمس وجهه بكل تفاصيله، كانت تنساب على وجهه كقطرات الندى على أوراق الشجر حتى أمسك بيدها ولم يستطع حبس دموعه أكثر ثم فتح عينه ببطء ليراها كما هى لم تتغير هى روح بعينها وشعرها هى بغمازتها التى تزين خديها هي بلون عينيها الصافيتين هي روح بروحها، جمالها وجاذبيتها...

ساد الصمت بينهما حتى سألته وهي تبتسم وبصوت خافت :

من أنتَ؟!

ابتسم ورجع بضعة خطوات، ثم قال :

أنا آدم...!

obeikan.com

كلمة أخيرة

" الإنسان قوى داخل أسوار عالمه .. ضعيف في عالم آخر "
كتبت تلك الجملة في يوم ما دون أن أدرك معناها كليًّا ،كثيرًا ما يسبح الكاتب على الورق دون أن يدرك الحقيقة الكاملة وراء حروفه حتى يصدم بأنه يكتب بفطرة تامة ..
ما العالم الآخر ،وهل هناك عالم يجمعنا جميعًا أم أن لكل منا عالم منفصل ..
لكى أجيب عن تلك الأسئلة كان يجب أن أتعمق في الإنسان أولًا ببساطة مطلقة وقد بسطت المعادلة إلى الأتي :
الإنسان عبارة عن مجموعة من الصفات والقدرات، تختلف تلك الصفات والقدرات بنسب متفاوتة من إنسان إلى آخر ،على أساس تلك الصفات والقدرات يُخلق له ابتلاؤه الخاص كما أوضحت بين سطور الرواية ..
ببساطة نحن نسير في دائرة مغلقة أطلقت عليها اسم " الكبت .. "
نسير وسط غابة من القوانين ..
نسير وسط قوانين إلهية تأمرنا وتنهانا بحكمة ..
نسير وسط ابتلاء إما أن ننجح فيه أو لا ..
لذلك لا يجب أن ننعوج عن الطريق المستقيم ونتمايل يمينًا ويسارًا ..
نصدم بأننا نمثل دور الفقير، الغنى، الفاشل، الناجح، الغبى والعبقرى ..نبتلى بفقد أعز أحبابنا، بعقبة قوية في طريق تحقيق أحلامنا أو بسكتة قلبية قد نودع فيها الحياة فجأة !
إذًا لا وجود لمسمى الحرية في الدنيا لمن لم يفهم الأمر بعد وإنما شعارها هو الكبت .. فقط الكبت ولكن ..

رغم الكبت الذى تعيش فيه أنت قوى في عالمك ..
فقط عليك أن تستغل ذلك الكبت في صناعة الحرية ..
ألا يهزمك ابتلاؤك .. هو الحرية
في النهاية .. اعلم جيدًا بأنك أقوى من في عالمك!...

obeikan.com

مَخرج

في النهاية .. أتمنى بألاتضيع وقتك الثمين في حروف عابره ..

إن لم يكن ..

فحروفي سعيدة بك

وإن كان ..

فلك كل أسفي لعدم التقائنا في نقطة واحدة ولنمضى بسلام ....

obeikan.com

شكر خاص إلى :

أ/ حسام الدين (مدير دار نون للنشر والتوزيع) ..
أ/ طارق (مدير النشر بدار نون) ..
د/ سيد محمود الشريف ..
علياء سليم ..

obeikan.com

obeikan.com

obeikan.com

obeikan.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007

obeikan.com